الفصل الخامس

طبيعة المجتمع المسلم وحاجاته ومطالبه للدنيا والآخرة

obeikandl.com

مفردات الفصل الخامس

الحياة في التصور الإسلامي

أولا: الحياة الدنيا

١) الحياة الاجتماعية

طبيعة المجتمع الإسلامي .

مكونات المجتمع .

معايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي :

- العلم
- العدل
- الحرية
- الشورى
- الوحدة
- الإحسان في العمل
- الجهاد في سبيل الله

موجهات القرآن للنظام السياسي .

موجهات القرآن للنظام الاقتصادي .

موجهات القرآن للنظام الاجتماعي .

القرآن والتغير الاجتماعي .

٢) الحياة الثقافية والمعرفية

الثقافة والحضارة .

التربية والتعليم .

العلم والمعرفة .

الفنون والآداب .

الإعلام والإعلان .

طبيعة المجتمع المصري

ثانيا: الحياة الآخرة

الموت .

البعث .

الحشر .

الحساب .

الصراط .

النار وأهلها .

الجنة وأهلها .

obeikandi.com

مقدمة :

تحدث الباحث في الفصل الرابع عن القرآن الكريم وواقع دراسته في مرحلة التعليم الأساسي وسيتحدث في هذا الفصل (الخامس) عن طبيعة المجتمع المسلم وحاجاته ومطالبه ، وسيبدأ بالحديث عن الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وآخرة وأن الحياة الدنيا ، تشمل : الحياة الاجتماعية ، والحياة الثقافية والمعرفية ، وأن الحياة الاجتماعية يشمل الحديث عنها : مكونات المجتمع ، وطبيعة المجتمع الإسلامي ومعايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي : وهذه المعايير هي :

العلم – العدل – الحرية – الشورى – الوحدة – الإحسان في العمل – الجهاد في سبيل الله وأنواعه ، مع توضيح موجهات القرآن الكريم للنظام السياسي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي ، ثم القرآن والتغيير الاجتماعي .

وأما الحياة الثقافية والمعرفية فسيكون حديث الباحث عنها في المفردات الآتية :

الثقافة والحضارة ، والعلم والمعرفة ، والفنون والآداب ، والإعلام والإعلان ، ثم التربية والتعليم .

وأما الحياة الآخرة فسيكون الحديث فيها عن طريق عرض منازل الآخرة وهي :

الموت – والبعث – والحشر – والحساب – والصراط – والنار وأهلها ، ثم الجنة ونعيمها .

ومنهج العرض هو – كما سبق– تناول المفردة بما يوضحها ، ثم التوجيه القرآني ، ثم اشتقاق المعيار المناسب .

أولاً: الحياة الدنيا:

طبيعة الحياة في التصور الإسلامي:

١ – الحياة مخلوقة بقدر الله :

إن الحياة مخلوقة أنشأها الله بقدر ، وتمضي كذلك وفق قدر ، وهي مودعة خصائصها الذاتية التي تفرقها من الموت ، أعطاها هذه الخصائصَ الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى ، والذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، والذي يتوفى الأنفس حين موتها ، والذي خلق الموت والحياة ، والذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، فالحياة ليست إلهاً ! ليست قوة مدبرة في ذاتها تَنشأ وتُنشيء وفق إرادتها المستقلة ! كذلك هي ليست تلقائية ، وجدت صدفة ، وتمضي خبط عشواء ! قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة . . . ﴾ (الملك : ١) .

كل الأحياء مما يدب على الأرض أمم منظمة :

كل ما يدب على الأرض من أحياء ، أمم ذات تنظيمات كأمة الإنسان ؛ فهي كلها من أصل واحد ؛ وهي كلها تخضع لتنظيمات . . والخالق المدبر هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وهو الذي أودع هذه الأمم فطرتها وضوابطها ، والإنسان هو قمة هذه المخلوقات ، وهي مسخرة له : الحيوان والطير والنمل . . . . ولكنه إنما يرتفع إلى مقامه هذا باحتفاظه بسبب امتيازه ، وهو اتصال روحه بمصدر امتيازه ، فإذا فارق هذا المقام صار أضل من الحيوان ! .

وهذه الحياة تقوم على قاعدة الزوجية :

كما تقوم الحياة على قاعدة النشأة من الماء ، وعلى قاعدة الأمم المنظمة . كذلك تقوم على قاعدة الزوجية التي لا تشمل الأحياء فقط ، ولكنها كذلك تشمل الأشياء . قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (الذاريات : ٤٩) . وتقدير الزوجية هذا ، واشتمال الحياة على الضمانات التي تجددها وتكثرها عن طريق هذه الزوجية ، وتوافر الجنسين في كل نوع بالنسبة الكافية للبقاء والتكاثر دليل على القصد والتدبير ، يكرر القرآن الكريم ذكره ، وهو دليل لا يواجهه المنكرون إلا بالتحمل أو الهروب في كل حال .

والأحياء مكفولون برزق الله :

الأحياء مكفولون برزق الله ؛ قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ . وهم كذلك محاطون بعلم الله ورعايته ، قال تعالى : ﴿ . . ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ . خاضعون لسلطان الله . قال تعالى : ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ .

والأحياء كلهم في عبادة الله :

والأحياء كلهم في عبادة الله قال تعالى : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ (النمل : ٤٩) وقال تعالى : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ (الرعد : ١٥) .

في الحياة عوالم أخرى من الأحياء :

هنالك عوالم أخرى من الأحياء غير دواب الأرض التي تشمل الإنسان وهي عوالم أخبرنا الله بوجودها كالملائكة والجن والشياطين وإبليس ، والإنسان يتعامل مع هذه العوالم في الدنيا والآخرة[1] .

١ - ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ حقيقة الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وآخرة ، وضرورة أن يقدم المحتوى لهم ما تتضح به هذه الحقائق .

الحياة الاجتماعية : طبيعة المجتمع الإسلامي :

مقدمة :

" المجتمع الإسلامي مجتمع من صنع شريعة خاصة جاءت من لدن إله حكيم خبير . . هذه الشريعة هي التي أوجدت هذا المجتمع ، وأقامته على أسسه التي أرادها الله لعباده ، وفي ظل هذه الشريعة تم نمو الجماعة الإسلامية ، ووجدت ارتباطات العمل ، والإنتاج ، والحكم ، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية ، ومبادئ السلوك ، وقوانين التعامل ، وسائر مقومات المجتمع الخاصة التي تحدد نوعه ، وترسم له طريق النمو والتطور " [2] .

مكونات المجتمع :

لقد فطر الله الإنسان على الاجتماع . ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : " الإنسان مدني بالطبع " [3] ، " فليس

---

[1] انظر في هذا كله : سيد قطب :مقومات التصور الإسلامي . ط ٢ . ص٣٥٧-٣٥٩ .دار الشروق . القاهرة ١٩٨٧م .

[2] انظر . سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ط ٩ ، دار الشروق . القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . ص٦٣ .

[3] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت . بدون تاريخ . ص٤١ .

بوسع إنسان ما أن يعيش وحده ، أو ينفرد بنفسه انفراداً تاما ، وليس هناك حادثة نفسية واحدة يمكن أن تتم دون أن يكون لها صلة بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ، فكل حادثة نفسية لابد لها من مجال اجتماعي تتم فيه والعكس صحيح أيضا ، فكل حادثة اجتماعية لابد لها من أصل نفسي " [٤] .

ويقول مدكور : " إن الصلة قوية بين علم النفس وعلم الاجتماع . فعلم النفس يدرس خصائص الأفراد من حيث إنهم أفراد لهم سلوك . وهذه الخصائص ، وذاك السلوك كل منهما لا يملك أن يتم إلا في محيط اجتماعي . أما علم الاجتماع فيدرس الصلات بين الأفراد من وجهة النظر الاجتماعية مع أخذ أسسها النفسية ، ومعاييرها العقدية في الاعتبار " [٥] .

وعناصر المجتمع أربعة هي :

العنصر الأول : هو الأفراد الذين يكونون الجماعة .

العنصر الثاني : هو ما ينشأ بالضرورة عن وجود الجماعة من الصلات بين أفرادها . فالمجتمع نسيج مكون من صلات اجتماعية .

العنصر الثالث : هو النظام . فالصلات الاجتماعية تنظيم وتنسيق وفق نظام غايته أن يضبط سلوك الجماعة ويوجهه ، وتتخذ الجماعة وسائل شتى لاحترام نظامها وتطبيقه ، ومهمة هذا النظام أن يطلق نشاط الأفراد في مجالات ، ويحبسه عن مجالات أخرى ، وأن يضع لهم معايير للسلوك تُقوم الأمور وفقا لها ، فيُحرم بعض الأمور ، ويحل بعضها الآخر .

والعنصر الرابع : هو العقيدة ، وهي أعظم العناصر السابقة على الإطلاق ، وأكبرها خطرا وذلك لأنها تتحكم فيها كلها ، وتوجهها جميعا الوجهة التي ترضاها ؛ فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية . وهي التي توجد الشعور بالانتماء ، وهي التي ترسم نهج السلوك ، وهي التي تضع قواعد المجتمع ، وتقيم نُظُمه ، وتهدي إلى حُلُه ، والعقيدة تتمثل في شريعة الله سبحانه – كما هي الحال في الإسلام . كما تتمثل في الفلسفات الوضعية ، والنظريات السياسية والاقتصادية التي توجه السلوك والعمل في كثير من المجتمعات الأخرى .

٢ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف المرحلة – موضوع الدراسة – على أن يدرك تلاميذها مكونات المجتمع الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك لهم .

الشريعة الإسلامية هي التي صنعت المجتمع الإسلامي :

وشريعة الله المحكمة هي التي صنعت المجتمع المسلم وليس المجتمع المسلم هو الذي صنع الشريعة قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة : ٤٨) وقال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (إبراهيم : ١) وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة : ٢) .

---

[٤] محمد أمين المصري : المجتمع الإسلامي ، الكويت ، دار الأرقم ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م ص ٨-٩ .

[٥] علي أحمد مدكور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

أما المجتمعات غير الإسلامية فهي التي صنعت نظمها ، وشرعت لأنفسها ، ولذا لم يدم لها حال ، ولم يهدأ لها بال ، ولم تطب لها حياة . . .

يقول مدكور : " وإذا كانت الجماعات البشرية هي التي صنعت المجتمع غير الإسلامي ووضعت له القوانين والنظم ، فإن الشريعة الإسلامية (الكتاب والسنة) هي التي صنعت المجتمع الإسلامي ، وحددت له سماته ، ومقوماته ، وهي التي وجهته وطورته " .

وإذا كانت التشريعات البشرية بقوانينها الوضعية ليست أكثر من مجرد استجابة للحاجات المحلية والإقليمية الموقوتة فإن الشريعة الإسلامية هي التي صنعت المجتمع الإسلامي [٦] . " كانت منهاجا إلهيا لتطوير البشرية كلها ، وصاغتها صياغة معينة ، ودفعتها إلى أوضاع يتم بها تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود . . . وكلما انقضى الزمن ، وارتفعت درجة المعرفة البشرية كانت أقرب إلى تحقيق المجتمع المنشود " [٧] .

والمجتمعات البشرية التي لم تحكم الشريعة الإسلامية تنمو وتتغير نمواً وتغيراً غير مقيدين بأصل ثابت ؛ ذلك لأن نموها وتغيرها يتأثران بالواقع المتغير وغير المقيد بأصل ثابت ، أما المجتمع الإسلامي فإنه ينمو ويتجدد ولكنه محكوم في نموه وتجدده بالشريعة الإسلامية الممثلة في الكتاب والسنة .

يقول مدكور " وإذا كانت المجتمعات البشرية في وسعها دائما أن تنمو وتتغير وفق تشريعات متأثرة بالواقع المتغير ، وغير مقيدة بأصل ثابت ، فإن التشريع في المجتمع الإسلامي-ممثلا في الفقه ، خاصة فقه المعاملات- كان دائما محكوما بأصل ثابت هو الشريعة الإسلامية ، ممثلة في الكتاب والسنة[٨]" .

وبذلك تقوم الشريعة دائما مقام السياج الواقي الذي يسمح للمجتمع الإسلامي بالنمو والتجديد ولكن داخل هذا السياج ، ووفق مقومات أصيلة ثابتة ، وبذلك يظل الطابع الأصيل للمجتمع الإسلامي واضحا مميزا [٩] .

والمجتمعات القائمة على تشريعات وضعية سرعان ما تتبدل نظمها وتتغير أحوالها ، ثم تنتهي . ولكن المجتمع الإسلامي الذي قام على النظام الرباني عاش وسيعيش إلى ما شاء الله له أن يعيش ؛ لأن الشريعة الإسلامية تحرس بقاءه .

يقول مدكور : " وإذا كانت المجتمعات القائمة على تشريعات وضعية تقوم فترة من الزمان ثم تنتهي ، فإن المجتمع الإسلامي الذي عاش أربعة عشر قرنا من الزمان ، سيعيش ، بل سيكون هو مجتمع المستقبل ؛ لأن سياج الشريعة سيظل يحرس هذا المجتمع مهما كانت قوة عوامل المقاومة والعداء " [١٠] .

والمجتمعات البشرية القائمة على النظم الوضعية تقوم على أساس الحدود الجغرافية ، أما المجتمع الإسلامي فلا

---

[٦] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي مرجع سابق ، ص١٨٩ .

[٧] سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

[٨] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

[٩] سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

[١٠] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ص ١٩٠ .

تحده الحدود الجغرافية ، وإنما تحده كلمة التوحيد ، فهو مفتوح لكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويطبق الشريعة التي أرسل الله سبحانه بها محمدا – صلى الله عليه وسلم – تلك الشريعة التي لا تعرف جنسا بعينه ولا لونا خاصا ، وإنما فتحت مجتمعها ليدخل فيه الناس كافة تحت ظلال توجيه الألوهية والربوبية . . واتباع السنة النبوية ، وترسم التطبيق الذي تمثل به محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الأجلاء ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١) وتمثل به السابقون الأولون من أصحابه – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين :﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتَها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ (التوبة : ١٠٠) .

يقول مدكور : " وإذا كانت المجتمعات البشرية القائمة على تشريعات ، وقوانين وضعية ومؤقتة ، هي مجتمعات محلية ، وقومية ، وعنصرية ، وقائمة على أساس الحدود الجغرافية ، فإن المجتمع الإسلامي هو مجتمع عالمي مفتوح لجميع بني الإنسان دون نظر إلى جنس أو لون أو لغة ، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة فغير المسلمين يعيشون مع المسلمين في ظل المجتمع الإسلامي على أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم " [١١] .

٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يتعرف تلاميذها على طبيعة النظم الاجتماعية الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم على وجه العموم وتميزه عن غيرها ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

معايير الحكم الحياة في المجتمع الإسلامي :

مقدمة : القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي هي أنه نظام رباني ، عالمي ، يقوم على أساس القواعد العامة ، والأصول الكلية لشريعة الله ، المنصوص عليها في كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن هذه القاعدة العريضة للنظام الاجتماعي الإسلامي ، تنبثق المعايير أو المقومات الرئيسة التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي كله ، وتؤثر في كل خلاياه ، وجزئياته الداخلية ، وهذه المعايير أو المقومات هي : العلم ، والعدل ، والحرية ، والشورى ، والوحدة ، والإحسان في العمل ، والجهاد في سبيل الله، وسيتناول الباحث هذه الأسس بالتفصيل فيما يلي :–

أ – العلم :

العلم هو الصفة الأولى التي ميز الله بها آدم ، واختصه بها ، فعلمه الأسماء كلها فظهر به فضله ، واستطاع أن يخبر الملائكة بما لم يعلموا قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ .(البقرة : ٣١–٣٣) . والإسلام اهتم بالعلم الاهتمام الأوفى ، ولذا كانت أولى آيات القرآن الحكيم هي قول

---

[١١] المرجع السابق .

الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (العلق : ١) والقراءة مفتاح العلم ، ولذا جاءت الآيات بعدها مفصحة عن العلم الذي هو من ثمار القراءة ، فقال المولى – جل وعلا – : ﴿ خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ٢–٥) . والقرآن الكريم يشيد بفضل العلم وأثره في رفع درجات المتصف به ، ويسوي بينه وبين الإيمان في ذلك فيقول : ﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة : ١١) وهذا كله لأن العلم جعله الله – سبحانه وتعالى – هداية كاشفة للصواب ، ونوراً تتضح به حقائق الأشياء ، العلم المقصود به وجه الله وهو الذي يذكر الإنسان بما فطره الله عليه من : العلم بالله الخالق البارئ المصور الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . والذي أخذ من بني آدم العهد على أنفسهم بمعرفتهم بالله خالقهم وعلمهم بأنه هو ربهم وإلههم الذي لا إله إلا هو وجعل ذلك فطرة فيهم ولقد شهدوا بذلك ، وسجل الله عليهم شهادتهم في القرآن الكريم حيث قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ ، فمن فضل العلم أنه يبعد عن الإنسان الغفلة ، ويحيي فيه الوعي ، ويعيد إليه الإدراك ، يقول مدكور في ذلك : " أما كون العلم فطرة الله في الإنسان ، فهذا يمكن فهمه من القرآن في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف : ١٧٢) . فالآية ترجع مسألة العلم بوحدانية الله ، والاعتراف بربوبيته إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم وذات تكوينهم ، ولقد شهد الكيان البشري على نفسه بهذه الحقيقة ، وذلك بحكم وجوده ، فوجوده يعني هذه الحقيقة .

ويقول : " فإذا كان العلم بوحدانية الله ، والاعتراف بربوبيته – وهما غاية كل علم – فطرة في الكيان البشري ، فإن تعلم كل العلوم القديمة والحديثة يجب أن تكون الغاية منه هي الحفاظ على فطرة الله في الإنسان ، وحتى الرسالات والكتب السماوية ما هي إلا تذكير وتحذير وتقويم لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى ، فقد اقتضت حكمة الله ورحمته ألا يكل الناس إلى أنفسهم ، فقد تنحرف عن الفطرة ، وألا يكلهم إلى عقولهم فقد تضل ، وأن يبعث إليهم رسلا مبشرين ومنذرين : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء : ١٦٥)[١٢]، هذا موقف القرآن الكريم من العلم ، فالقرآن يشجع على العلم ويحث عليه ويوضح منزلته ويعلي من شأن ذويه فيقول : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) ، ويقرن شهادة العلماء بشهادة الله – عز وجل – وشهادة الملائكة الكرام ، على وحدانية الله – سبحانه – فيقول ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إلهَ إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران : ١٨) . ويسجل القرآن الكريم آيات لا يدركها إلا العلماء فيقول في سورة الروم : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (الروم : ٢٢) ، ولهذا يقول القرضاوي فيما يورده مدكور[١٣] :

---

[١٢] علي أحمد مدكور : منهج التربية في العصور الإسلامي : مرجع سابق . ص١٩٣–١٩٤ .

[١٣] المرجع السابق : ص١٩٢–١٩٣ .

" العلم شعار الإسلام ، وفطرة الله في الإنسان . فالإنسان هو خليفة الله في الأرض ليعمرها ويرقيها وفق منهج الله ، وهي منزلة اشرأبت لها أعناق الملائكة ، وتشوفت إليها نفوسهم ، فلم يعطوها ، ومنحها الله للإنسان " [١٤] . وما أبلغ تشجيع المولى – عز وجل – على العلم في قوله سبحانه لنبيه – صلى الله عليه وسلم – فيما يطرحه على أمته ، قرآنا يتلى ، وطلبا يرجى ، ونورا يهدي ، وتفضيلا يغري بالاستجابة . . ﴿ قل : هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾ (الزمر : ٩) .

ب – فرضية التعلم : والدين الإسلامي لايكتفي بالتشجيع على تحصيل العلم على سبيل الاختيار بل نراه يفرض ذلك فرضا حيث يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالقراءة في قوله سبحانه : ﴿ اقرأ ﴾ كما تقدم ، وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فاقرءوا ماتيسر من القرآن ﴾ أمر لأمته صلى الله عليه وسلم ، ويقول صلى الله عليه وسلم :" طلب العلم فريضة على كل مسلم " [١٥].

" والتربية الإسلامية بتقريرها مبدأ فرضية التعلم تعتبر الرائدة والسابقة بين النظم التربوية التي لم تصل إلى تقرير مبدأ " إلزامية التعليم " إلا منذ فترة وجيزة مع وجوب التسليم بأن الإلزام الصادر من " رب العالمين " يختلف الناس في مدى تطبيقه ، والحرص عليه من الإلزام الصادر من " سلطة بشرية " . ولذا لا تزال الأمم والشعوب تختلف في مدى تطبيق مبدأ " إلزامية التعليم "[١٦] .

ج – فرضية التعليم : مما لا شك فيه أنه لا تتحقق فرضية التعلم إلا بفرضية التعليم إذ إنه لا يتحقق تعلم بدون تعليم ،كما أنه لا يتحقق تعليم بدون تعلم ، ولهذا قررت التربية الإسلامية مبدأ " فرضية التعليم " لأنه هو السبيل إلى تنفيذ مبدأ "فرضية التعلم " ، والقاعدة " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " .

وإن التعلم والتعليم أمران متلازمان ، فينبغي أن يكون حكمهما واحداً ، أيضا ولتحصيل كل متعلم مسئولية نشر مالديه من علم ومعرفة ليسهم في القضاء على التخلف والأمية ، وفي إخراج الناس من ظلام الجهل إلى نور العلم ، ولذا حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تقرر مبدأ "فرضية التعليم " ، منها قوله تعالى :﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة :١٢٢) .

يقول الضحاك : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعذار . وكان إذا أقام وأسرى السرية ، لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا باذنه . وكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن ، وتلاه نبي الله – صلى الله عليه وسلم – على أصحابه القاعدين معه ، فإذا رجعت السرية ، قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا ، فيقرئونهم ويفقهونهم في

---

[١٤] يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ، ط٢ ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨١م ، ص٦٧ .

[١٥] ابن عبد البر-جامع بيان العلم وفضله -(القاهرة ، دار الكتاب الحديثة) ، ١٩٧٥م ، ص١ .

[١٦] محب الدين أحمد أبو صالح وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، لطلاب السنة الثالثة لجميع الأقسام بكل الكليات – كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٠٥ هـ-١٤٠٦هـ ص١٩٧ .

الدين [١٧] .

ويرى الغزالي أن المراد بالإنذار هو التعليم والإرشاد [١٨] ، فالآية تبين وجوب تعليم الطائفة التي تفقهت في الدين مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أقوامهم عندما يرجعون إليهم ، ومما يؤكد وجوب التعليم والتعلم أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم خطب ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ، ثم قال : ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ؟ وا لله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ، ويعظونهم . ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ويتعظون ، أو لأعاجلنهم العقوبة ، ثم نزل ، فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قال : الأشعريين ، هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب ، فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم . . . ، فقالوا : يا رسول ا لله ذكرت قوما بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟ فقال : ليعلمن قوم جيرانهم ، وليفقهنهم وليأمرنهم ، ولينهونّهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتعظون ، ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا ، فقالوا يا رسول ا لله : أنفطن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم ، وأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضا . فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ، ليفقهوهم ويعلموهم ، ويفطنوهم ، ثم قرأ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . . ﴾ [١٩].

٤ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على موقف الإسلام من التعليم والتعلم في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح هذا الموقف .

النظام السياسي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن فيه :

العدل :

ومما سبق يتضح أن وظيفة العلم هي بناء المجتمع الإنساني وترقيته ، لكن العلم إذا لم يكن مستندا إلى عدل ا لله ، ينقلب إلى وسيلة للخراب والدمار للمجتمع البشري كله ! فالعدل إذن هو القيمة التي توجه غايات العلم نحو خير الإنسان والبشرية جميعا . " والعدل كما وضحه بعض الفقهاء والمفسرين هو تنفيذ حكم ا لله ، أي أن يحكم الناس وفقا لما جاءت به الشرائع السماوية " ، ولما كانت الشريعة الإسلامية هي كمال هذه الشرائع ، فإن العمل بها إذن هو تحقيق العدل الذي أمر ا لله به .

ويندرج تحت هذا المعنى العام للعدل معانيه الخاصة ومنها :

العدالة في الحكم وتوجيه القرآن في ذلك :

يقوم نظام الحكم في الإسلام على أربعة أسس : اختيار المحكومين للحكام ، العدل من الحكام ، والطاعة من

---

[١٧] إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : دار المعرفة ، بيروت ، جـ٢ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، ص ٤٠١ .

[١٨] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ٩ .

[١٩] الهيثمي : مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، جـ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ص ١٦٤ .

المحكومين . والشورى بين الحكام والمحكومين [٢٠] .

ويقول سيد قطب رحمه الله:" وتقوم سياسة الحكم في الإسلام، بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة ، والحاكمية الواحدة على أساس العدل من الحكام ، والطاعة من المحكومين ، والشورى بين الحاكم والمحكومين، وهي خطوط أساسية كبيرة، تتفرع منها سائر الخطوط التي ترسم شكل الحكم وصورته "[٢١]. والناس في مجتمعهم يتفقون ويختلفون تبعا للتفاوت الفطري لديهم فمنهم من وهب معرفة الحق والميل إليه ، ومنهم من طبع على الباطل والتعلق به ، ومنهم من يرضى بالقليل ويحمد الله عليه ، ومنهم من يطمع في الكثير ولا يأبه بأي وجه يحصل عليه ... ومن هنا كان من الضرورة أن يكون لكل مجتمع حاكم يحكم بين أفراده، يقر صاحبَ الحق على حقه ويمكنه منه ، ويرد كل معتد عن اعتدائه ، ويعود به إلى الصواب والرشد . ومن هذا المبدأ نرى توجيه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى إقامة الحكم بين المجتمع الإسلامي بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ (النساء : ١٠٥) والتعبير عن نزول الكتاب بالحق ، وكون حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس بما أراه الله يفيد مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بقضية الحكم بين أفراد المجتمع ....

لمن يكون الحكم ؟ ومن الذي ينفذ هذا الحكم ؟ وما المصدر الأساسي لهذا الحكم ؟ وعن السؤال الأول : نجد الإجابة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ . . إن الحكم إلا لله . أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يوسف : ٤٠) ، والذي ينفذ الحكم في الجماعة المحكومة : راعيها وولي أمرها والمسئول عنها أمام الله : رسولا مختارا مصطفى من الله لأمته كما نجد ذلك في قول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ (المائدة : ٤٢) . أو راعيا مختارا من المجتمع الذي يحكمه سواء كانت رعايته وولايته عامة أو خاصة ، فمتى ولي الحكم بين الناس فعليه أن يحكم بالعدل ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ﴾ (النساء : ٥٨) ، وهذه إجابة السؤال الثاني .

وعن السؤال الثالث : المتعلق بالمصدر الأساسي للحكم في الإسلام فنجد الإجابة في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (النساء : ٥٩) .

ولذا كان العدل من الحكام فرضا لا يقوم الحكم الإسلامي إلا به ، أكد ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنّكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى . . ﴾ (المائدة : ٨) . ونلحظ في هذه الآية الكريمة ملحظا دقيقا هو أن العدل يجب أن يتحقق من الحكام بين المحكوم بينهم ، لا يمنع ذلك مانع ما ولو كان ذلك المانع بغضاً أو عداوة بين الحاكمين والمحكوم بينهم ،ومن ذلك قول الله سبحانه :﴿ إن الله يأمر بالعدل . . . ﴾ (النحل : ٩٠) ،وقوله سبحانه : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ (الأنعام : ١٥٢) .

---

[٢٠] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

[٢١] سيد قطب:العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط٥، دار الشروق،القاهرة١٦ش جواد حسني،١٣٩٨هـ ١٩٨٧م ،ص١٠٥.

ويؤيد وجوب العدل في الحكم قول الإمام الرازي عند تعرضه لتفسير قوله سبحانه : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . ﴾ (النساء ٥٨) أجمعوا على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل [٢٢] ، واستشهد بآيات كثيرة منها : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ (ص :٢٦) .ويقول : وهذه الآية الأخيرة تدل على أن العدل واجب حتى على الأنبياء [٢٣] .

ويقول سيد قطب في هذا العدل : " فهذا العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه الحب والبغض . ولاتغير قواعده المودة والشنآن ، العدل الذي لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ، ولا بالتباغض بين الأقوام . فيتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعا . لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه . كما تتمتع به الأقوام الأخرى ، ولو كان بينها وبين المسلمين شنآن ، وتلك قمة في العدل لا يبلغها أي قانون دولي إلى هذه اللحظة . ولا أي قانون داخلي . بل لا يقاربها كذلك [٢٤] .

٥ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي على أن يعرف التلاميذ أثر العدل في الحياة الاجتماعية ، وضرورة اختيار المحتوى النصوص القرآنية التي توضح لهم هذا الأثر .

الطاعة من المحكومين للحاكم وتوجيه القرآن في حكمها :

لاشك أن المجتمع الذي يحظى بنعمة الوفاق بين الحاكم والمحكومين على رضا الله والمسير على هدي شريعته يعيش عيشة راضية ، ولكي تتحقق هذه العيشة الراضية نجد أن القرآن الكريم طلب من الحاكم أن يسير في حكمه لرعيته على ضياء العدل الذي لا تنقصه محاباة الأقرباء . ولايحيف عليه شنآن الأعداء كما تقدم الحديث عن ذلك ، وفي الوقت ذاته حث القرآن الكريم المحكومين على أن يطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر الذين ينفذون فيهم عدل الله سبحانه وتعالى إذ يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (النساء ٥٩) . وهذا الأمر يقتضي الوجوب . فطاعة ولي الأمر واجبة ما دام أمره ونهيه محكومين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، يقول سيد قطب رحمه الله: والجمع في الآية بين الله والرسول وأولى الأمر لبيان طبيعة هذه الطاعة وحدودها ؛ فالطاعة لولي الأمر مستمدة من طاعة الله والرسول ؛ لأن ولي الأمر في الإسلام لا يطاع لذاته ، وإنما يطاع لإذعانه هو لسلطان الله واعترافه له بالحاكمية ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله ومن اعترافه بحاكمية الله وحده ، ثم تنفيذه لهذه الشريعة يستمد حق الطاعة . فإذا انحرف عن هذه أو تلك سقطت طاعته ، ولم يجب لأمره النفاذ ، يقول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة " ويقول : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ماأقام فيكم كتاب الله تعالى " ، وواضح في هذا الحديث توقيت

---

[٢٢] فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب . ج٣ ، ص ٣٥٥ .

[٢٣] علي أحمد مدكور : منهج التربية . مرجع سابق . ص ١٩٦ .

[٢٤] سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

السمع والطاعة بإقامة كتاب الله تعالى ؛ فليست هي الطاعة المطلقة لأوامر الحاكم . وليست هي الطاعة الدائمة ولو ترك شريعة الله ورسوله "[٢٥].

ولهذا يجب على المحكومين أن يختاروا حاكمهم على الأسس الآتية :

أسس النظام السياسي في التصور الإسلامي وتوجيه القرآن فيها :

إن الذي يلي حكم المسلمين في الإسلام ذو شأن – وأي شأن – فمهمته في الحقيقة كما يقول ابن خلدون : " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " [٢٦] ، أو خلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال أبو بكر رضي الله عنه : " لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " [٢٧] ، ولعظم حاجة المجتمع الإسلامي إليه كان تنصيبه واجبا ، يقول ابن خلدون في مقدمته : " ثم إن تنصيب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين" [٢٨] .

ثم يقول : وإذا تقرر أن هذا النَّصْبَ واجب بإجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (النساء ٥٩) ، ثم يقول وأما شروط هذا المنصب فأربعة : العلم – العدالة – الكفاية – وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل . . . . " .

وهذه الشروط هي التي ذكر ابن خلدون الإجماع عليها[٢٩] . وعلى هذا فالحاكم يختار ويبايع من قبل المحكومين إذا توافرت فيه الشروط المذكورة وعلى أنه خليفة في تنفيذ أحكام الله ، ينفذها على أنها من عند الله وليست من عنده هو لخصوصية فيه .

ولذا يقول سيد قطب يرحمه الله : " ويجب أن نفرق بين قيام الحاكم بتنفيذ الشريعة الدينية ، وبين استمداده السلطان من صفة دينية لشخصه . فليست للحاكم سلطة دينية يتلقاها مباشرة من السماء ، كما كان لبعض الحكام في القديم في نوع الحكم المسمى ثيوقراطية ، إنما هو يصبح حاكما باختيار المسلمين الكامل . وحريتهم المطلقة ، لا يقيدهم حاكم قبله ، ولا وراثة كذلك في أسرة . ثم يستمد سلطته بعد ذلك من قيامه بتنفيذ شريعة الله دون أن يدعي لنفسه حق التشريع ابتداء بسلطان ذاتي له ، فإذا لم يرضه المسلمون لم تقم له ولاية ، وإذا رضوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعة . ومن هنا ندرك حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في أنه لم يعين خليفته من بعده . إذ كان هذا مظنة أن يستمد خليفته سلطة دينية ذاتية من استخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم [٣٠] .

---

[٢٥] سيد قطب : المرجع السابق ، ص١٠٦ .

[٢٦] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط٦٠ – ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م ، ص١٩١ .

[٢٧] المرجع السابق ، ص١٩١ .

[٢٨] المرجع السابق ، ص١٩١ .

[٢٩] ابن خلدون : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

[٣٠] سيد قطب : العدالة الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

واختيار الحكام والولاة أمانة يجب الوفاء بحقها لله ثم للأمة ، فلا يجوز الاختيار المبني على تحيز ما .

٦ – ولذا ينبغي أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام السياسي في التصور الإسلامي ، وضرورة أن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الكافية من موجهات القرآن لهذا النظام .

العدالة في نظام الأسرة وتوجيه القرآن في ذلك :

أ– عني الإسلام ببناء المجتمع المسلم بناء قويا ، ويتأكد ذلك بعنايته ببناء الأسرة المسلمة لأنها اللبنة الأولى في تكوينه ، وحقق العدالة التامة بين الزوج والزوجة ، لأنه بالعدالة بينهما يتحقق الأمن والاستقرار النفسي . ولا يلج صدر كل منهما نحو الآخر إلا الحب والود والرحمة . . . . . وسارت العدالة في مسيرتها المنصفة مع تكوين الأسرة خطوة خطوة ، وتوضيح ذلك :

١– أن الإسلام أمر بالتدقيق في اختيار الزوجين ، كل منهما للآخر ، حتى يكون الزواج أدوم والأسرة الجديدة أكثر استقرارا . ومن ذلك مشروعية الخطبة والنظر بينهما ، جاء في كتاب العدة شرح العمدة : "ومن أراد خطبة امرأة فله النظر منها إلى ما يظهر منها عادة كوجهها وكفيها وقدميها " . لما روى جابر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل " رواه أبو داود [٣١] .

٢– " وأن الإسلام اشترط الكفاءة بين الزوجين ، فوجود التكافؤ بينهما اجتماعيا على الأقل ضمان لاستمرار الأسرة ، وانعدامه يزعزع كيانها ، ويعرضها للانهيار " [٣٢] .

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تنكحوا النساء إلا الأكفاء ، ولا يزوجهن إلا الأولياء " . وقال عمر رضي الله عنه " لأمنعن فروج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء " [٣٣] .

٣– " وأن الإسلام اشترط قيام الزوجية على الرضا التام ، ممثلا ذلك في عقد الزواج الذي يجب أن يقوم على الرضا والقبول . فالزوج يطلب من زوجته أو من وكيلها إنشاء هذه العلاقة . وهي أو وكيلها يقبل ذلك " [٣٤] قال صاحب العدة : وليس لهم تزويج كبيرة إلا بإذنها ؛ لقوله عليه السلام : " الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُستأمر" [٣٥] .

ب– والنساء شقائق الرجال ، وهما من نفس واحدة ، ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (الأعراف : ١٨٩) ، ولا تعمر الحياة إلا بهما معا . فلا غرابة أن يعمل المنهج الإسلامي على

---

[٣١] بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي : العدة ، شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني ، دار المعرفة بيروت لبنان ، بدون تاريخ ، ص٥٣٩ .

[٣٢] إبراهيم محمد الشافعي : التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص٤٧ .

[٣٣] بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي : مرجع سابق ، ص٣٦٦ .

[٣٤] إبراهيم الشافعي ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

[٣٥] بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي ، مرجع سابق ، ص ٣٦٦ .

تحقيق العدالة بينهما فأودعهما قدرا مشتركا من : المودة والرحمة فقال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الروم : ٢١) . والطيبة والخبث : فقال سبحانه وتعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ (النور : ٢٦) ، والشعور بالمسئولية : يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على مال زوجها وولدها وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "[٣٦] ، وطلب منهما : النصح ؛ قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ (التوبة : ٧١) ، والتعاون ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (المائدة : ٢) ، والتشاور ؛ قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) ، وحفظ أسرار الزوجية ؛ قال تعالى : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ (النساء : ٣٤) .

وقال –صلى الله عليه وسلم– " إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها "[٣٧] .

وسوى بينهما في الجزاء . قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النمل : ٩٧) .

وجعل الحقوق بينهما متبادلة : فمن حقوق الزوجة على زوجها :

النفقة : قال تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ (النساء : ٣٤) ، والرفق والحنان المفهومان من المعروف في قوله سبحانه : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ (النساء : ١٩) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ . . استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ، لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ﴾[٣٨] ، والعمل على وقايتها من النار برعاية دينها وأخلاقها . . قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ (التحريم : ٦) . وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . . ﴾ (طه : ١٣٢) .

ومن حق الزوج على زوجته[٣٩] :

---

[٣٦] الإمام مالك بن أنس . الموطأ . ص٣٤٣ .

[٣٧] الإمام مسلم وأبو داود .

[٣٨] محمد حميد الله : الوثائق السياسية ،دار الإرشاد ،ط٣ ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ م . ص ٣٠٨ .

[٣٩] انظر :أحمد محمد العسال :الإسلام وبناء المجتمع ، ط٧ ، دار القلم الكويت ، ١٩٨٤م ،ص ٢٤٢-٢٤٣ .

١- أن ترعى زوجها ، فتكون سكنه وراحته . فلا يرى منها إلا ما يحب . قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (الأعراف : ١٨٩) ،وسئل رسول ا لله ما خير النساء ؟ فقال : " خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وولدك " [٤٠] .

٢- أن ترعى طاقته وقدرته في الإنفاق ، وتساعده بتدبير معاشه فقد نهى ا لله عن الإسراف والتبذير ، كما حرم البخل والتقتير ،وخير الأمور التوسط والعدل ، قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان : ٦٧) ، وقال سبحانه : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (الإسراء : ٢٧) .

٣- أن تطيعه في نفسها وتحفظه في بيته ، قال - صلى ا لله عليه وسلم - " لا يحل لامرأة تؤمن با لله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولاتعتزل فراشه . .".

ج - وعند اختلاف الزوجين :

١- عندما يختلف الزوجان لأمر ما اختلافا من شأنه أن يهز كيان الأسرة فإن الدين الإسلامي يطلب - أولا - تحكيم واحد من أهل الزوج وواحد من أهل الزوجة ؛ ضمانا للعدل والمساواة . وحفاظا على سر الأسرة وتلافيا لتطورات أخرى ليست في صالحها ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها . .﴾ (النساء : ٥) .

٢- وعندما يعز على الحكمين حل النزاع ، وتكون هناك أسباب قوية لفض علاقة الزوجية . فإنه لابأس من ذلك في نظر الدين ؛ قال ا لله تعالى : ﴿ وإن يتفرقا يغن ا لله كلا من سعته ﴾ (النساء : ١٣٠) .

٣- ولقد جعل الإسلام الطلاق أبغض الحلال ، حتى لا يقترب منه الزوج إلا في حالة الضرورة القصوى .

٤- وجعل الطلاق ثلاث مرات متدرجة في فصم العلاقة بين الزوجين ؛ جاء في العدة شرح العمدة : " ويملك الحر ثلاث تطليقات والعبد اثنتين . سواء كان تحته حرة أو أمة " روي ذلك عن عمر وابنه وجماعة من الصحابة . ولأن ا لله سبحانه خاطب الرجال بالطلاق فكان حكمه معتبرا بهم ، لأن الطلاق خالص حق الزوج . . " [٤١] .

ويقول الشافعي : " جعل الطلاق في يد الرجل . والرجل معروف بأنه يحكم عقله في تصرفاته ، والمرأة معروفة بغلبة العواطف عليها والانفعالات على تصرفاتها ، وموضوع خطير كالأسرة وضرورة بقائها ينبغي أن يحكمه العقل والتروي لا العواطف والانفعالات . . . . . .

وليس في هذا في الحقيقة إنقاص من قدر المرأة بل وضع للأمور في نصابها ، أو وضع الشخص المناسب في المكان المناسب . ولا يوجد إنسان كامل يصلح لكل عمل ووظيفة . والحكمة معرفة ما يتميز به كل إنسان ، ثم وضعه حيث يستغل تميزه ، وليس إنقاصا للشخص إبعاده عما لا يتميز به ؛ فالمرأة إذا كانت قد منعت من بعض الوظائف فإنها قد وضعت فيما يناسبها تمشياً مع طبيعتها التي فطرها ا لله عليها ، وهي قد وكل إليها أهم وأخطر

---

[٤٠] رواه أحمد والنسائي .

[٤١] بهاء الدين المقدسي ، مرجع سابق ، ص ٤١٠ .

وظيفة اجتماعية ؛ ألا وهي تربية الجيل وتنشئته ، وهذه الوظيفة أنسب لها ؛ لأنها تحتاج إلى عطف وحنان ورقة وإرهاف حسي ، وهي جميعا عواطف ووجدانات تتوافر لديها أكثر مما تتوافر لدى الرجل "[٤٢]، ومن هنا نجد عدالة الإسلام الكاملة في تحديد العلاقة بين الزوجين ، وتوجيه كل منهما الوجهة التي تتناسب مع فطرته وتكوينه بحيث لو استجاب كل منهما إلى ما وجهه الإسلام إليه لكانت الأسرة في سعادة ، وكان المجتمع كذلك سعيدا ، والعكس صحيح .

د–ولقد وجه القرآن الرجل إلى السعي والإنفاق على أهله والعمل على حمايتهم . . فقال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ فالرجل جعلت له القوامة على المرأة بحكم الاستعداد والدربة لهذه الوظيفة بالإضافة إلى أنه المكلف بالإنفاق فهو حق مقابل تكليف ينتهي في حقيقته بالمساواة بين الحقوق والتكاليف في محيط الجنسين ومحيط الحياة .

يقول مدكور :" ولا شك أن ميدان إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني ، هو ميدان عمل المرأة بالدرجة الأولى ، ثم ينقل عن الشيخ محمد متولي الشعراوي مقارنته بين ميدان عمل المرأة هذا وبين ميدان عمل الرجل خارج البيت والتي يرى فيها الشيخ – كما ينقل مدكور – أن ميدان عمل المرأة أهم وأدق من ميدان عمل الرجل ؛ لأن الرجل – بحكم عمله خارج البيت – إنما يتعامل مع " أشياء " هي كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو أكرم ما في الوجود كله .

أما المرأة فمهمتها هي التعامل مع هذا المخلوق الراقي الكريم على الله وهو الإنسان ، فتتعامل معه كزوج فيسكن إليها وتريحه ، وتتعامل معه جنينا في بطنها ، ووليدا في حضنها ، ورضيعا تطعمه وتحنو عليه ، وطفلا وصبيا ، وشابا تربيه وترعاه وتضرب له المثل [٤٣] .

وترك كل من الزوجين الوجهة التي وجهه الإسلام إليها يؤدي إلى الشقاء ويذهب بصلاح المجتمع يقول العقاد : " فالمجتمع الذي يتزاحم فيه الرجال والنساء على عمل واحد في المصانع والأسواق لن يكون مجتمعا صالحا مستقيما على سواء الفطرة ، مستجمعا لأسباب الرضا والاستقرار بين بناته وبنيه ، لأنه مجتمع يبذر في جهوده تبذير السرف والخطل ، على غير طائل ، ويختل فيه نظام العمل والسوق كما يختل فيه نظام الأسرة والبيت . . [٤٤] .

٧ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ حقيقة نظام الأسرة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لهذا النظام .

ومن التوجيه القرآني في العدالة بين الرجل والمرأة :

العدالة دينا ، قال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾ (البقرة ٢٢١) .

---

[٤٢] إبراهيم محمد الشافعي : مرجع سابق ، ص ٤٧ – ٤٨ .

[٤٣] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠–٢٠١ .

[٤٤] عباس العقاد : المرأة في القرآن ، ص ٤٦ .

العدالة في الحقوق ، قال تعالى :﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة ٢٢٨) .

العدالة في المعاشرة ، قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (النساء : ١٩) .

العدالة في الكسب :﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢) .

العدالة في الصلح بينهما إذا اختصما : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ (النساء ١٢٨) .

العدالة في الميراث : فهي ترث نصيبها الذي حدده الله لها منه كما يرث الرجل نصيبه الذي حدده الله لها منه ، قال تعالى : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ (النساء:١٢) .

٧ . العدالة في إرضاع المولود وأجر الأم المرضع والتشاور في فصال الرضيع ، قال تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس إلا وُسعها ، لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما . . ﴾ (البقرة ٢٣٣) .

العدالة بين الفرد والمجتمع ، وموجهات القرآن للنظام الاجتماعي :

" كما أن الفرد كل له أجزاء فهو أيضا جزء من كل هو المجتمع ، وقد جسم الرسول صلى الله عليه وسلم العلاقة بين الفرد والمجتمع في الحديث الشريف : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (أخرجه الشيخان) [٤٥] ، والفرد هو اللبنة في تكوين المجتمع ، والمجتمع هو مجموع الأفراد ، والإسلام عندما وضع نظمه وتشريعاته لم يكلف الإنسان إلا وسعه ، ولم يغفل في الوقت ذاته حاجات الجماعة ومصالحها وغايات الحياة العليا في الفرد والجماعة على توالي العصور والأجيال .

ولقد ربط الإسلام بين الفرد وجماعته برباط التقوى فقال : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (النساء : ١) ." والرحم اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره " [٤٦] .

وقال الضحاك : " واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها" قاله ابن عباس ومجاهد والحسن " [٤٧] .

كما ربط الإسلام بين أفراد المجتمع البشري كله فقال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . . .﴾ (الحجرات : ١٣) .

---

[٤٥] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

[٤٦] محمد بن أحمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، د.ت ، جـ ٥ ، ص ٧ .

[٤٧] أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن الكريم ،دار الأندلس ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ .

والمطلوب من المجتمع البشري بأفراده وجماعته أن يسهم في عمارة الكون وترقية الحياة فيه . والعدالة تقتضي ذلك ؛ كل يساهم بما وهبه الله وعلى قدر استطاعته . لأن ترقية الحياة في الكون تحتاج إلى الخبرات المتنوعة ، صناعة وزراعة وتجارة وطبا وقضاء . . . ، ولذا فالمجتمع لا يرتقي بل لا يصلح بخبرة واحدة . قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى . ﴾ (المائدة ٢) .

يقول مدكور : " ومن رحمة الله بالناس أن جعل لهم مواهب وميولا ومهارات واهتمامات مختلفة ومتعددة ؛ لأن حركة المجتمع تحتاج إلى هذا التنوع والاختلاف في الاهتمامات والمهارات والقدرات حتى تتكامل الحركة فيه ، فحركة الأجزاء في المجتمع الواحد كحركة الأعضاء في الجسد الواحد فلكل فرد مهمة . كما أن لكل عضو مهمة ، وبتكامل عمل الأعضاء يصلح الإنسان ويقوى وكذلك الحال في المجتمع " .

أما فيما يتصل بحركة كل فرد ونوعيتها ، وعلاقتها بغيرها داخل المجتمع فيصورها القرآن تصويراً دقيقا في قوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ (الزخرف : ٣٢) [٤٨] .

ومن عدل الله سبحانه وتعالى الذي يظهر في هذه الآية : أن الدرجات الموهوبة من الله لعباده متنوعة بحيث يكون لكل بعض من الجماعة البشرية ما يحتاج إليه البعض الآخر منها ، فلا يستغني بعض عن بعض ، ولايستأثر بعض عن الآخر بكل درجات الرفعة ، وهذا عين العدل : فالطبيب يحتاج إلى المزارع والمزارع يحتاج إلى المهندس والمهندس يحتاج إلى النجار والغني – مالا – يحتاج إلى الفقير في المال والقوي في العمل . . وهكذا والمجتمع يحتاج إلى الجميع ... وما أصدق قول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : إن أساس الرفعة ليس هو المال فقط ، فالصحيح أن كل فرد في المجتمع مرفوع مرة ، ومرفوع عليه مرة أخرى [٤٩] .

فالفرد في المجتمع مرفوع فيما يجيد وفيما يحسن ، ومرفوع عليه غيره فيما لا يجيده ولا يحسنه ، إذن فكل فرد فاضل في جهة ، ومفضول عليه في جهة أخرى ، والمفضول عليه يسخر الفاضل لخدمته . إذن فكل فرد في الكون مسخر لكل فرد ، وعلى هذا فلا يجب تفسير قوله تعالى : ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ على أساس أن الطبقة الأعلى تسخر الطبقة الأدنى . إن المجتمع الإسلامي مجتمع غير طبقي ، والقرآن دقيق في تعبيره ، فقوله تعالى : ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . . . ﴾ جعلك لاتستطيع أن تحدد البعض المرفوع ، ولا البعض المرفوع عليه ؛ لأن كلمة " بعض " مبهمة ، فكل بعض مرفوع ، وكل بعض مرفوع عليه .والاختلاف والتفاوت إنما هو في قدر الدرجات في كل زاوية ، وفي كل علم ، وفي كل فن ، وفي كل مهارة ، فالفاضل مرفوع بقدر مهارته في العمل ، ودرجة اتقانه له .

---

[٤٨] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

[٤٩] محمد متولي الشعراوي ، منهج التربية في الإسلام ، القاهرة ، دار المسلم ، بدون تاريخ ص ٣٦ .

وبذلك ينسجم المجتمع ولا يتصارع ، وإنما يتعاون ويتعاضد . فلو تساوى الناس في علم واحد ، أو فن واحد ، أو مهارة واحدة لتدافعوا ، وتصارعوا ، ولكن كلا منهم يحتاج إلى الآخر ، وعجز هذا تكمله قدرة ذاك ، وخير الناس أنفعهم للناس ، وهذه من أجمل معاني العدالة [٥٠] .

٨ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ موجهات القرآن للنظام الاجتماعي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموجهة لهذا النظام .

– الشورى بين الحكام والمحكومين وموجهات القرآن للنظام السياسي :

تقرير الإسلام مبدأ الشورى بين الحاكم والمحكومين دليل على احترام الإنسانية في الإنسان وآية ذلك أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذ رأي الصحابة في كثيرمن الأمور ، وليس ذلك لخفاء الحقيقة المناسبة على الله – سبحانه – فهو علام الغيوب ، وليس ذلك أيضا لأن الصحابة أعلم بالحقيقة المناسبة لما يتشاورون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لأن مشاورة الرسول لأصحابه – بأمر من الله جل وعلا تعني أول ما تعني احترام الإنسانية في أولئك الأصحاب الذين سيكونون من بعد هداة لغيرهم : بكل ما علموه وتعلموه من الله ورسوله ؛ لهذا ولغيره – مما لا يعلمه إلا الله – قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم :﴿وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه رضي الله عنهم بقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) .

ويقول مدكور في ذلك : " والشورى بين الحكام والمحكومين هي الأساس الثالث لنظام الإسلام في الحكم قال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإن الإسلام دين ودولة ، ونظام كامل للحياة ، فقد كفل لأتباعه حريتهم السياسية ، وهي أن يكون لكل إنسان قادر الحق في الاشتراك في توجيه سياسة أمته ، ومراقبة السلطة فيها .

ويقول سيد قطب في المشورة بين الحكام والمحكومين بعد أن يورد النصين الكريمين : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فالشورى أصل من أصول الحياة في الإسلام ، وهي أوسع مدى من دائرة الحكم ؛ لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة كما تدل الآية.[٥١]

ولكن كيف تتم الشورى ؟ إن الدين الإسلامي الذي جعل الشورى أساسا من أسس نظام الحكم فيه لم يشأ أن يحدد لها نظاما خاصا ، وإنما ترك ذلك للأصلح من تجارب البشرية ، فهو دين اليسر ومراعاة مقتضى الأحوال في كيفية التطبيق .

يقول سيد قطب رحمه الله : " وإن الإسلام مثلا يجعل الشورى أساسا من أسس الحكم في الدولة الإسلامية ؛ فأما كيف تتحقق الشورى على الوجه الأمثل فهذا ما لم ينص عليه . . . ذلك متروك لظروف كل أمة وزمانها ومكانها ، وللتجارب البشرية التي تحقق الشورى على الوجه الأمثل وهكذا قضايا كثيرة ، مما لم يرد فيه نص يحدد طريقة

---

[٥٠] انظر : مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق . ص٣٦-٣٧ .

[٥١] سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

التنفيذ ، ووسيلة التطبيق ، مما يحقق المرونة الكاملة للنظام الإسلامي ، مع بقائه محكوما بالشريعة التي تكيف بها نشأته ووجوده "[٥٢] .

ومَن الذين يستشارون ؟ إن يسر الدين الإسلامي ترك ذلك التحديد لما يتطلبه الأمر المستشار فيه ، فتارة يتطلب الموقف مشورة رجل بعينه لما له من خبرة بالموقف لا تتوافر في غيره ، وتارة يستشار لموقف آخر رجلان ، وتارة يستشار أكثر من ذلك . . . ولذا يقول سيد قطب : " على أن الحركة الإسلامية في كل فترة تعين هي بطبيعتها أهل الشورى من أهل البلاء والسبق والرأي في يسر لا تعرفه الأنظمة البشرية "[٥٣] ومع ذلك نجد من يذكر لأهل الشورى هذه الخصائص : " والخصائص الأساسية لأهل الشورى هي : الإيمان والتقوى ، والعلم ، والموهبة والسعة والقدرة ، والخصائص التابعة هي : الصفات الفطرية ، والصفات الخِلقية ، والصفات الخُلقية ، وخصائص الممارسة هي : المبادرة الذاتية والخبرة والتجربة والموازنة العادلة "[٥٤] .

توجيه القرآن الكريم إلى خصائص أهل الشورى :

يقول سبحانه وتعالى في سورة الشورى : ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . . . ﴾ ، يقول عدنان النحوي في فهمه لهذه الآيات الكريمات : "فإذا أخذنا الكلمات الثلاث وحدها من هذه الآيات الكريمات : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ لنستدل على أهمية الشورى في الإسلام فإننا نكون قد فوتنا على أنفسنا بذلك معاني كثيرة وملامح أساسية جمعتها الآيات التي سبقتها ؛ وهذه الملامح والمعاني تتناسق فيما بينها ، وتتكامل مع بعضها حتى تبرز لنا صورة أقرب إلى الوضوح ، وأعمق في الدلالة ، وتضع الشورى في الموضع الذي أراده الله لها في منهاجه من خلال هذه الآيات .

فالشورى هنا معنى ولفظاً ، لم ترد في مجال حكم محدود ، أو في ميدان ضيق ، ولكنها وردت في مجال التربية والبناء ، في مجال إعداد الشخصية المؤمنة العاملة ، والنفس الصادقة الباذلة ، وكذلك في مجال إعداد المجتمع المؤمن والجماعة المؤمنة ، فتعرض الآيات الكريمات خصائص الجماعة المؤمنة في مجال العقيدة والإيمان ، والعمل والسعي ، والخلق والسلوك ، والطاعة والعبادة .

فإذا صحت هذه الصفات ، وصدقت هذه السمات فإن هذه الجماعة تدور بينها الشورى بصورة طبعية لا تكلف فيها ، وبصورة إيجابية مثمرة ، فتصبح هذه النفوس كريمة باذلة معطية منفقة في سبيل الله "[٥٥].

ونستطيع أن نستنتج من هذه الآيات أهم خصائص ومميزات أهل الشورى :

التقويم السليم لمتاع الحياة الدنيا والرغبة فيما عند الله .

---

[٥٢] سيد قطب : نحو مجتمع إسلامي ، ط٩ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣م ص١٤١ .

[٥٣] سيد قطب : العدالة الاجتماعية ، مرجع سابق ص١٠٩ .

[٥٤] عدنان النحوي: ملامح الشورى في الدعوةالإسلامية ، دارالإصلاح للطبع والنشر والتوزيع ، السعودية ، الدمام. ص٥٧٢.

[٥٥] عدنان النحوى : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٢٢ .

الإيمان وحسن التوكل على الله .

اجتناب كبائر الإثم والفواحش والاتصاف بالطهر والنقاء .

العفو والسماحة عند الغضب .

الاستجابة لله إيمانا ويقينا ، وعلما ومعرفة .

المحافظة على العبادات كلها والأداء لسائر التكاليف في حدود الاستطاعة .

٩ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أثر الشورى في الإسلام بين الحاكم والمحكومين ، وضرورة أن يقدم المحتوى النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

الحرية وتوجيه القرآن فيها : –

طبيعة الحرية : لقد فطر الله الإنسان على الحرية ، فالحرية فطرة في الطبيعة الإنسانية وخلق الله الإنسان حراً ؛ لأنه جعله مسئولا عن تنفيذ منهجه في الأرض الذي يسر له سبله بتسخير كل ما يحتاج إليه من الأرض ومن السماء ، قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ (الجاثية : ١٣) واستخلفه في الأرض : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض . . ﴾ (الأنعام : ١٦٥) . وترك له حرية العقيدة بعد أن عرفه به – سبحانه – عن طريق الآيات الكونية : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض . . . ﴾ (يوسف : ١٠٥) والآيات القرآنية : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ (البقرة : ٢٥٢) – فقال سبحانه : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف : ٢٩) .

وقال في حرية العمل : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ (فصلت : ٤٠) . ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (الزلزلة :٨) .

والحرية تستتبع المسئولية ، فالإنسان حر ؛ لأنه مسئول ومؤهلات المسئولية تفضل الله بها على هذا الإنسان ؛ فأعطاه العقل المفكر ، وأرسل إليه الرسول المبشر والمنذر وأنزل إليه القرآن الهادي والمرشد . ومنّ عليه بالصحة والعافية . . . ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (إبراهيم : ٣٤) . لذا كان نشاط الإنسان المسلم كله حراً ، وهو كله عبادة لله طالما كان الاتجاه به إلى تحقيق الخلافة في الأرض وعمارتها حسب منهج الله القرآني .

والحرية غريزة غرزها الله في خلق الإنسان حين خلقه ، فلم تكن منحة يمنحها النظام الاجتماعي الإنسان ، أو يمنعها عنه .

يقول مذكور في ذلك : "ومعنى كون الحرية فطرة فطر الله الإنسان عليها أنها ليست مجرد منحة يمنحها النظام الاجتماعي للإنسان ، أو يمنعها عنه ، وإنما هي قيمة غرزية غرزها الله في خلق الإنسان حين خلقه ، ويعبر عن هذا المعنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " [٥٦] ؟ والحرمان من الحرية ، أو الانفلات في ممارستها يؤدي إلى الانحراف في العمل ، والهبوط في الخلق ، والتدهور في حال المجتمع كله .

---

[٥٦] انظر في هذا وما بعده: علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

مظاهر الحرية في المجتمع الإسلامي : للحرية في الإسلام مظاهر متعددة منها :-

النصح والإرشاد وإبداء الرأي ، والأصل في ذلك قول الرسول صلى ا لله عليه وسلم : "الدين النصيحة " قالوا : لمن يا رسول ا لله ؟ قال : لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم " (رواه البخاري ومسلم) ، ولقد تمثل الصحابة الأجلاء بذلك عملياً حيث قال الأعرابي لعمر رضي ا لله عنه الذي طلب من رعيته أن يُقوّموا اعوجاجه – إن رأوا فيه اعوجاجا – وأعطاهم هذا الحق من فوق المنبر ، قال له الأعرابي على الفور وبكل حزم : " وا لله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا " ، ولقد وجد عمر – رضي ا لله عنه – في هذه الحرية الشُجاعة نعمة عظمى عليه حيث أعطى للرعية حقها في الكلمة والعمل ، وعلى الرعية باستجابتها لقبول الحرية والعمل بمقتضاها فما وسعه إلا أن يحمد ا لله ويثني عليه ويشكره قائلا : " الحمد ا لله الذي جعل في أمة محمد صلى ا لله عليه وسلم من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه ".

وهناك حرية التملك والكسب عن طريق السبل المشروعة : ما دام المسلم يؤدي حق ماله فلا سبيل لأحد عليه ، والأصل في ذلك قول ا لله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢) . ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ (النساء ٧) . وقول الرسول صلى ا لله عليه وسلم في خطبة الوداع : " كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه . . . . " [٥٧] .

وهناك حرية العمل والكسب في الأرض : الأرض جعلها ا لله ذلولا للإنسان ، وقدر فيها أقواتها وأعطى الإنسان الحرية لاستخراج ماله فيها من تلك الأقوات بالطرق المشروعة ، قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ﴾ (الملك :١٥) .

يقول مدكور :" فإذا كانت حرية المسلم في العمل والكسب مكفولة في أرض ا لله الواسعة ، فإن ذلك مكفول له من باب أولى في كل أرض تحكم الإسلام في شئون حياتها ، لا يمنعه من ذلك حاكم ولا قانون ، ولا يحتاج إلى إذن ، أو رخصة... فآصرة العقيدة تغني الإنسان المسلم عن كل هذا "[٥٨].

وهناك حرية التفكير والاختيار بين البدائل : وهذه أوسع الدوائر من حيث إنه لا إكراه لإنسان على دين ولا على عمل ولا على موطن ولا على فكر محدد ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ، فالإسلام لا يفرض نفسه بالإكراه : أيّ إكراه ، فلا إكراهَ مادياً ولا إكراهَ معنوياً ، ولم الإكراه على شيء فطر عليه الناس ؟ فلا يطالب الإسلام المسلمين بأكثر من الدعوة إلى ا لله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (النحل :١٢٥) . وأما الجهاد فهو لتبليغ فكرة الإسلام واضحة لغير المسلمين في أي مكان ، فلم يكن ولن يكون من مسلم يعرف دينه حق المعرفة أن يجبر إنسانا على الدخول في الإسلام ، وبعد وصول الفكرة الإسلامية إلى غير المسلمين ، لهم مطلق الحرية في أن يسلموا أو لا يسلموا

---

[٥٧] الإمام السيوطي ، الجامع الصغير ، ط ١ ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠م .

[٥٨] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢٠٩ .

، وإنما ليس لهم أن يمنعوا أو أن يعوقوا مسيرة كلمة الإسلام وتعاليمه إلى أرجاء الدنيا . ذلك أن الإسلام : تحقيقه والإيمان به ليس لبشر وإنما هو لله وحده ، قال تعالى : ﴿ ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس: ١٠٠).

وكما أنه لا إكراه على دين فإنه لإكراه على عمل ، حتى تتنوع الأعمال وتتكامل الخبرات ويكون البعض مسخراً للبعض ، فيتم التعاون الذي يحقق العمارة المنشورة في الكون ولا إكراه لإنسان على موطن بعينه ، وإنما الأرض لله ، والإنسان مخلوق لله فيها ومصرح له من الخالق أن يمشي في مناكبها ويضرب ويهاجر فيها زارعا أو صانعا أو تاجرا أو مجاهدا : ﴿ فامشوا في مناكبها . . ﴾ (الملك : ١٥) ، ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ (نوح : ١٩ ، ٢٠) .

وحتى التفكيرلدى الإنسان : فيه منتهى الحرية ، حتى يكون الإنسان بفكره ومحض إرادته مختارا لما يحبه ويرضاه لنفسه في حياته : دينا وعملا وموطنا . . . وعلى هذه الحرية ونتائجها والتصرف على هديها يكون الحساب والجزاء من الله الذي يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ . وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ (يونس : ٩٨ ، ٩٩) ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (هود : ١١٨ ، ١١٩) ، وما ذلك إلا لأن الله وفي بعدله وإحسانه للإنسان بحيث لا يكون له على الله حجة وإنما لتكون الحجة من الله على الناس ؛ فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأمده بالعقل وأنزل إليه الكتب وأرسل إليه الرسل وسخر له الكون وعرفه به – سبحانه – بكل وسائل المعرفة ، وقال له : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (الزمر ٦٦) ، فإن عبد الله وشكره ﴿ فله جزاء الحسنى ﴾ (الكهف : ٨٨) . ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (آل عمران ١٤٤) وإلا : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (النجم : ٣٨ – ٤١) .

ولذا يقول مدكور : " والإسلام يسير في هذا مع مقتضى فكرته عن فطرة الإنسان على الإيمان بالله وحده ، فالإنسان غير المسلم الذي تصل إليه فكرة الإسلام واضحة جلية دون ضغوط ، أو حصار ، أو رفض قائم على مقدرات سابقة ، لابد أن يعود إلى فطرته السليمة التي فطر الله الناس عليها ، لكن الإسلام يريده ان يعود إلى الله بإرادته الحرة الواعية . .

فهذا هو الطريق الوحيد الذي يستوجب المسئولية [٥٩] .

١٠ – لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ مظاهر الحرية في الإسلام ، وضرورة أن يقدم المحتوى لهم النصوص القرآنية التي توضح لهم مظاهر هذه الحرية في الحياة .

[٥٩] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢١٠ .

الوحدة :

الوحدة بين أفراد المجتمع تؤدي إلى تحقق القوة له ؛ ولذا أمر بها القرآن فقال : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ (آل عمران ١٠٣) وجعل للوحدة مظاهر وروابط .

من مظاهر الوحدة في الإسلام :

لقد شرع الإسلام للاتحاد مظاهر كثيرة وأسبابا عديدة ؛ فمن ذلك : أنه أوجب الجماعة في الصلاة وأثاب المصلين في جماعة أضعافا مضاعفة ، بل جعل بعض الصلوات لا يقبل إلا في جماعة كصلاة الجمعة وفي هذا يقول الشافعي : " وبالنسبة لكثرة عدد المجتمعين من المسلمين فلاحظ أن الصلاة في جماعة أفضل بكثير جدا من صلاة الفرد ، وأنه كلما كان عدد المصلين أكبر كان ثوابهم أكبر ، وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي ، وفي المسجد النبوى أفضل من المسجد الأقصى ، وفي هذا دعوة إلى الصلاة في هذه المساجد ، وإذا تم هذا فسيكون العدد كبيرا جدا ، والحج أكبر تجمع إسلامي وهكذا نلاحظ حرص الإسلام وتشجيعه على أن يجتمع المسلمون بأكبر عدد منهم ، وهذا من شأنه تقوية المجتمع[١٠].

الرابطة الأساسية للوحدة في الإسلام :

والوحدة تحتاج إلى راوبط تحققها ، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى من اوائل هذه الراوبط بين البشر رابطة العقيدة التي تقوم على معرفة الله سبحانه وتوحيده والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف : ١٧٢) ، فهذه الرابطة أقوى من رابطة النسب التي يقول الله فيها : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (النساء : ١) . وأقوى من رابطة الأرض والوطن والجنس . . الخ ، وفي ذلك يقول الشافعي : " وفيما يتعلق بالراوبط بين الأفراد فإن الدين الإسلامي في حد ذاته رابطة من أشد الراوبط وأقواها ؛ لأنه عاطفة من أغلى العواطف وأعزها ، وعقيدة من أقوى العقائد تمكنا من النفس ، وبمجرد أن يعرف المسلم أن غيره مسلم كذلك فإنهما يقتربان من بعضهما ويتآلفان ويتحابان ، وخاصة إذا التقيا في مجتمع غير مسلم ".

والدين الإسلامي أقوى من غيره من الراوبط التي تربط بين أفراد المجتمع كاللغة والوطن والجنس مثلا بل أقوى أحيانا من رابطة القرابة ، ويستدل بانفصال الباكستانيين عن الهند تمسكا بدينهم الإسلامي . ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

والدين الإسلامي كرابطة يستدعي وجود روابط أخرى كالفكر المشترك والمصالح المشتركة والتاريخ المشترك ، وقد يؤدي إلى وحدة اللغة فتصبح رابطة قوية أخرى ، وكذلك يؤدي إلى إيجاد الأخوة في الله والوحدة في الوطن

---

[١٠] إبراهيم محمد الشافعى : التربية الإسلامية وطرق تدريسها ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

الإسلامي ، وغير ذلك من الروابط التي يوجدها الدين الإسلامي بين المسلمين [٦١] .

ومن التوجيه القرآني في ذلك :

شرع الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة أسباب الوحدة من صلاة وصيام وزكاة وحج . . . بل وجهاد ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (الصف : ٤) . ويجعل الإيمان الأساس الأكيد في تحقيق الأخوة فيقول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) . ويقول سبحانه في تجمع الوحدة في حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (التوبة : ٢٤) ، فالوحدة إذا لم تكن رابطتها حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله فهي وحدة فاسدة يحاربها الله وينذر ذويها ممن اتحدوا بروابط الأبوة أو البنوة أو الأخوة أو الزوجية أو العشيرة أو المال أو التجارة أو المساكن بانقطاع عن دين الله وعقيدة رسوله صلى الله عليه وسلم ينذرهم بإنزال أمره بهم بما يستحقون . وفي ذلك يقول مدكور : " . . . المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد المتحضر ؛ لأن العقيدة – وحدها– تمثل رابطة التجمع الأساسية فيه ، فالعقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، والعربي والفارسي والرومي والحبشي ، فسائر أجناس الأرض يجتمعون في أمة واحدة ربها واحد ، ومنهجها واحد ، لأنه من الله ، والأتقى فيها هو الأكرم عند الله ، وبذلك فإن جنسية المسلم هي عقيدته التي تجعله عضوا في " الأمة الإسلامية " [٦٢] ، بل إن عقيدة التوحيد لتجمع الموحدين كلّهم في أمة واحدة من أول البشرية إلى آخرها ، قال تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الانبياء : ٩٢) .

١١ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أثر الوحدة بين المسلمين في الحياة ، وضرورة أن يقدم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح للتلاميذ هذا الأثر .

النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن فيه :

مقدمة : المال عصب الحياة ، والعمل للحصول عليه من حلال عبادة ، والتصرف فيه بحكمة طاعة ، فما موقف القرآن من ذلك ؟

موقف القرآن من السياسة الاقتصادية :

يرعى القرآن الكريم توجيه الأمة الإسلامية إلى السياسة الاقتصادية الرشيدة فيوضح أن أرزاق المخلوقات كلها من عند الله فيقول : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (هود : ٦) .كما يقول : ﴿ . . وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . . ﴾ (الأعراف : ٣) ، ويوجهنا إلى التوسط في ذلك بقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقتُروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (الفرقان : ٦٧) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ (الإسراء : ٢٩) ، كما يوضح لنا أن المال وإن حصلنا عليه من الطرق

---

[٦١] إبراهيم محمد الشافعي : المرجع سابق ،ص ٤٣ ، ٤٤ .

[٦٢] علي أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥ .

المشروعة له فإنه مال الله ، يقول سبحانه : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ (النور : ٣٣) كما يوضح لنا جل وعلا أن المال ينقل بالاستخلاف ولا يدوم لمخلوق ما ، ولذا قال سبحانه : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ (الحديد : ٧) . والله سبحانه وتعالى عمل على عدم تكديس الأموال بين أيدي الأغنياء وحرمان الفقراء منه فقال : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . ﴾ (الحشر : ٧) .

أسس العدالة في السياسة الاقتصادية :

١ – المال مال الله . ٢ – كراهية حبس المال في يد فئة قليلة من الناس . ٣ – الملكية الفردية .

ولذا يقول مدكور في ذلك :" تقوم العدالة في السياسة الاقتصادية في الإسلام على ثلاثة أسس :

أولا : – أن المال مال الله ، والناس مستخلفون فيه . ويستدل بالآية : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ .

ثانيا :– كراهية أن يحبس المال في أيدي فئة قليلة من الناس يتداول بينهم ، بينما يمنع عن الآخرين ، ويستدل بالآية الكريمة : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ .

إن الإسلام قد أجاز للحاكم بشريعة الله أن يأخذ بعض المال من الأغنياء ويملكه للفقراء ، وذلك عندما يرى أن المجتمع قد اختل توازنه بظهور آفة الغنى إلى حد الترف الشديد في جانب ، والفقر المدقع في جانب آخر . وهذا ما فعله الرسول صلي الله عليه وسلم حين أعطي فيء بني النضير كله للمهاجرين ، ومن أجل منع المال من أن يحبس في أيدي فئة قليلة لجأ الإسلام إلى وسائل أهمها : الزكاة والإرث والصدقات والمال العام أو الملكية العامة وتربية الضمير الإنساني .

ثالثا : الملكية الفردية : فالمال مال الله ، والناس مستخلفون في ملكية التصرف فيه والانتفاع به ، لكنه التصرف والانتفاع الذي لا يصل إلى السفه ، والناس يملكون المال بالعمل والكسب قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢) . وبالإرث ، قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ؛ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ (النساء :٧) .

١٢– ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ كيفية التصرف في أموالهم في ضوء الاقتصاد الإسلامي، وضرورة أن يقدم المحتوى أحكام القرآن الكريم في ذلك لهم.

الإحسان في العمل – وتوجيه القرآن فيه :–

بالعمل تتحقق العزة ، وبالعمل تشاد صروح الحياة ، وبالعمل يقوى الإنسان على تحقيق ما قصد من استخلافه في الأرض ، وبالعمل يدحض الحق الباطل ، وبالعمل تتحقق الأماني وإذا اقترن بالعمل إيمان وإخلاص تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، ولذا كان العمل معيارا من معايير حكم الحياة والسيطرة على مقاليدها ، والامساك بزمام قيادتها قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ﴾ (النور: ٥٥) .

والعمل المبني على الإيمان مفتاح لأسباب الرزق . ودليل على الفهم الصحيح لوجود الإنسان في هذا الكون . ولذا فهو الوسيلة الأولى للتملك بعد الميراث ، وليس للعمل سبيل واحد يسلكه الإنسان دون غيره ، وإنما للإنسان أن يعمل زارعا أو تاجرا أو صانعا أو معلما . . ولا مانع من عمل ما إلا أن يكون فيه ضرر للآخرين ، أو على خلاف مع ما شرع الله ورسوله ولذا جاء قول الله سبحانه: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ حاثا على العمل – أيّ عمل – خاليا من أي قيد ، اللهم إلا أنه يجب أن يكون على وفق شريعة الله : ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ وشريعة رسوله : ﴿ ورسوله ﴾ وموافقا للمنهج الإيماني الذي يسير عليه المؤمنون : ﴿ والمؤمنون ﴾ فعطف الرسول على الله يقتضي وجوب موافقة العمل للكتاب والسنة ، وعطف المؤمنين على الله والرسول يقتضي أن يكون العمل موافقا لمنهج أهل السنة . ولذا حذر الله سبحانه وتعالى من أن يكون العمل خلاف ذلك فقال محذرا ومهددا من يخرج بعمله على هذا النسق فقال: ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (التوبة :١٠٥) .

وكان العمل سبب العزة في الدنيا لأنه يمنع من مد اليد إلى الغير ، ومن إراقه ماء الوجه أمام الآخرين . والمسلم يجب أن يكون عزيزا ، ويجب أن يكون كريما على نفسه كما هو كريم على الله . ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" إن الله يحب العبد المؤمن المحترف " (ذكره القرطبي) ويقول : " ما أكل أحدكم طعاما قط خيرا من عمل يده " (رواه البخاري) . والعمل فوق أنه من أسباب عزة الإنسان فهو سبب من أسباب القوة الجسدية والعقلية ، وليس العمل في أرض الله مستصعبا ، فالله خالق الإنسان هو الذي سخر له الكون وأدانه بالخضوع له ؛ قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ (الجاثية : ١٣) ، ولذا يحث الله الناس على المشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه الذي خلقه الله، ولكنه جعل المشي سببا للحصول عليه : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك :١٥) .

١٣ – لذا ينبغي أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي وموجهات القرآن له ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

العمل ومفهوم العبادة :

إن العمل إذا خلصت فيه النية ووافق توجيه الله فيه فإنه يكون من أرقى أنواع العبادة . ولذلك كان الجهاد وهو من أشق أنواع العمل سببا لرفع الدرجات ، قال الله تعالى : ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ﴾ .

والعمل في الإسلام يشمل متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الآخرة فعلى الإنسان أن يعمل لدنياه وأن يعمل لأخراه وهو مثاب في كلتا الحالتين ما صحت نيته ووافقت توجيهَ الله في هذا العمل . قال الله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص :٧٧) .ولذا يقول مدكور : " وليس المراد بالعمل على كل حال الانصراف عن أمور الدنيا وقضاياها والكد والكدح فيها والاشتغال بأمور ثانوية في الدين كالخلافات المذهبية والدروشة – كما يسميها

الأستاذ (فهمي هويدي) – وبحث مدى إخلاص أو عدم إخلاص بعض المفكرين من أعلام المسلمين .

وليس من العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترقى أن يترك كل ذي تخصص تخصصه ، فالطب والهندسة والعمارة والطبيعة والكيمياء والرياضيات وعلوم الحرب وعلوم الإدارة وعلوم ارتياد الفضاء وكل العلوم التي نحن فقراء إلى النابغين فيها ، إلى الاشتغال بأحكام التلاوة وعلامات الساعة ، والخلافات المذهبية "[٦٣] .

إن العمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترتقي : " هو أن ينصرك منا الإسلام في ميدان تخصصه بالإنجاز فيه والإنتاج والإبداع "[٦٤] ، يقول الشيخ محمد الغزالي : " من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا عجزة عن الحياة . . .وإنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا في ميادين الحياة . وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال ومظاهر تقام . . . إن الله لا يقبل تديننا يشينه هذا الشلل المستغرب " .ولا أدرى كيف نزعم الإيمان والجهاد ونحن نعاني من هذه الطفولة التي تجعل غيرنا يداوينا ، ويمدنا بالسلاح إذا شاء " [٦٥] .

وفي هذا يقول مدكور أيضا : (وربما كان من أهم أسباب هذه المشكلة عدم فهم معنى العبادة في الإسلام ، فالبعض لا يفهم من معنىالعبادة إلا أنه الصلاة والزكاة والحج والصدقة وبعض الأذكار والأدعية ، مع أن هذا جانب واحد فقط في جوانب العبادة ؛ فالعبادة تشمل النشاط الإنساني كله ؛ لأن نشاط الإنسان المسلم كله حركة واحدة متجهة نحو تحقيق غاية وجوده ، وغاية وجود الإنسان هي العبادة عن طريق القيام بحق الخلافة في الأرض ، والقيام بحق الخلافة في الأرض يعنى عمارتها وترقيتها وفق منهج الله "[٦٦] .

ويقول القرضاوي في كتابه (العبادة في الإسلام) : " إن الزارع في حقله والتاجر في متجره والموظف في مكتبه وكذلك الطبيب والمهندس والمخترع والمدرس والطالب والفراش والوزير والرئيس ، وكل ذي حرفة في حرفته يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي صلاة وجهادا في سبيل الله إذا التزم فيه الشروط التالية :

١ .أن يكون العمل مشروعا في نظر الإسلام .

٢ .أن تصحبه النية الصالحة بنفع نفسه وأمته وعمارة الأرض وفق منهج الله .

٣ . أن يلتزم الإتقان والمهارة والإحسان في العمل .

٤ .أن يلتزم فيه حدود الله ، بالبعد عن الظلم والغش والجور .

٥ .أن لايشغله عمله هذا عن أداء التزاماته التعبدية الأخرى .

وبهذا فإن العبادة ليست مجرد إقامة الشعائر ، إنما العبادة هي الحياة ، فالحياة كلها خاضعة لشريعة الله . والإنسان في الحياة عابد طالما أنه متجه بكل نشاطه إلى الله مهما كان نوع العمل أو النشاط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل ، الصائم النهار" (رواه

---

[٦٣] فهمي هويدي : هؤلاء الدراويش ، الأهرام في ٢٥- ٨ - ١٩٨٧ .

[٦٤] انظر علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

[٦٥] محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ،ص ٢٦ .

[٦٦] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

الشيخان) . وعن أنس رضي ا لله عنه قال : " كنا مع النبي صلى ا لله عليه وسلم في سفر . فمنا الصائم ومنا المفطر قال فنزلنا منزلا في يوم حار ، أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، فمنا من يتقي الشمس بيده ، قال فسقط الصوام ، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله " (أخرجه الستة) .[٦٧]

" وبهذا المعنى الشامل تصبح العبادة هي الصلة الدائمة بين المسلم وربه ، وتصبح هي الصلة الدائمة للإنسان كله : جسمه وعقله وضميره ووجدانه ، وبهذا المعنى أيضا يصبح من الواجب على منهج التربية الإسلامية أن يتنازل عن تقسيم النشاط الإنساني إلى عبادات ومعاملات ، وهو التقسيم الذي ورد في التأليف الفقهي في مرحلة متأخرة كما يقول الأستاذ سيد قطب رحمه ا لله : " فهذا التقسيم مع الأسف – قد أنشأ آثارا ضارة في التصور الإسلامي ، تبعته بعد ذلك آثار ضارة في الحياة الإسلامية كلها ؛ إذ جعل يترسب في تصورات الناس أن معنى العبادة إنما هو خاص بالنوع الأول من النشاط الذي يتناول فقه العبادات بينما أخذ المعنى ينزوي رويدا رويدا عن النوع الثاني من النشاط الذي يتناوله فقه المعاملات " [٦٨] وهو انحراف بالتصور الإسلامي لمفهوم العبادة لاشك فيه .

فالمنهج الإسلامي في التربية يجب أن يتناول كل النشاط الإنساني بالدراسة ، ابتداء من الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج إلى البرامج الدراسية في نظام الحكم ونظام الاقتصاد ، والتشريعات الجنائية والمدنية ، ونظام الأسرة ، ونظام الإدارة ، إلى المواد المختلفة في الرياضيات والطبيعة والكيمياء والعلوم الإنسانية إلى آخره – يجب أن يتناول المنهج كل هذه المواد والبرامج على أساس أنها لاتهدف إلا إلى غاية واحدة هي تحقيق معنى" العبادة " .

١٤ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن النشاط الإنساني كله عبادة ما دام يصدر من الإنسان على هدي الشريعة الإسلامية ، وضرورة تأكيد ذلك بالنصوص القرآنية التي يقدمها المحتوى للتلاميذ .

الجهاد في سبيل الله وتوجيه القرآن فيه :

مقدمة :

إن الجهاد سنام الإسلام ولذا فمشروعية الجهاد إنما هي لحماية الإنسان ليعيش في حرية يؤدي فيها كيفية الاستخلاف في الأرض ويتمكن من عمارتها بما يحقق العبودية الكاملة لله وحده ؛ إذ إنه لا يتمكن من عمارة الكون على منهج ا لله سبحانه وتعالى إلا إذا كان حراً لا سلطان عليه إلا سلطان ا لله ولا سبيل له إلا سبيل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، قال ا لله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في ا لله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا با لله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (الحج (٧٧–٧٨) .

---

[٦٧] يوسف القرضاوى : العبادة في الإسلام ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ص ١٢ .

[٦٨] سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ط٧ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢م ، ص ١٠٩ .

فالجهاد لحماية رسالة الإسلام التي هي رسالة السلام الحقيقية والعدل والطمأنينة . والسلام الذي جاء الإسلام لإقراره في الأرض إنما جاء ليعالج ناحيتين هامتين ويبين للناس فيهما وجه الحق ، وهاتان الناحيتان – كما يقول الشيخ حسن البنا – هما : " الناحية الأخوية الإسلامية ، والناحية الأخوية الإنسانية العامة"[٦٩].

لقد جاء الإسلام فرأى الناس يتفاضلون ويتمايزون على أساس من اللحم والدم والقوم ، والأرض والطين ، فقرر أن هذا وهم باطل ، وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب : " يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (النساء : ١) . وبين أن التفاضل والاستعلاء إنما يكون بالتقوى والأعمال الصالحة : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات (١٣) . فبالمعنى الأول انتزع الكبر ، وبالمعنى الثاني انتزع الحمية ، ووارى عصبية القبيلة ، وعصبية الجنس ، وعصبية الأرض ، تلك العصبيات التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنها لأصحابه : " دعوها فإنها منتنة " . . وقال لهم : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " .

إذن فالجهاد في الإسلام قد شرع لحماية رسالة السلام القائمة على العدل والطمأنينة ، والأخوة الإسلامية ، والأخوة الإنسانية التي تسمو بالإنسان ترفعا عن نتن اللحم والدم ، ولوثة الأرض والطين . . .

لماذا شرع الجهاد ؟ الجهاد شرع لتمكين الإنسان من الحفاظ على الرسالة الخاتمة وتثبيت حاكميتها في الأرض ، فهي ما نزلت إلا لتحكم الحياة وتنظم شؤون الناس على أساسها ، ويعم خيرها البشرية جمعاء .

وإن الجهاد إنما هو " لا نتزاع سلطان الله المغتصب ، ورده إلى الله وطرد المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ، ويقوم الناس منهم مقام العبيد . . . إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض [٧٠] ، أو بالتعبير القرآني : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ (الزخرف ٨٤) ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ (يوسف ٤٠) . وكذلك شرع الجهاد لتمتيع البشرية كلها بخير الإسلام ونعمته وعدله . " لقد جاءت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة التي جاء بها الإسلام لتكون قاعدة للحياة البشرية في الأرض ، ولتكون منهاجا عاما للبشرية جمعاء ، ولتقوم الأمة المسلمة بقيادة البشرية في طريق الله وفق هذا المنهج ، المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله ، ولغاية الوجود الإنساني ، كما أوضحها القرآن الكريم المنزل من عند الله ، قيادتها إلى الخير الذي لا خير غيره في مناهج الجاهلية ، ورفعها إلى هذا المستوى الذي لا تبلغه إلا في ظل هذا المنهج ، وتمتيعها بهذه النعمة التي لا تعدلها نعمة ، والتي تفقد البشرية كل نجاح وكل فلاح حين تحرم منها ، ولا يعتدي عليها معتد بأكثر من حرمانها من هذا الخير ، والحيلولة بينها وبين ما

---

[٦٩] حسن البنا : حديث الثلاثاء ، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة ص٤٢٦ .

[٧٠] انظر : سيد قطب : معالم في الطريق – دار الشروق ، بيروت – القاهرة الطبعة العاشرة ، ١٩٨٣ م ،ص ٦٧ . وانظر أيضا : علي مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

أراده لها خالقها من الرفعة والنظافة والسعادة والكمال" [٧١] .

ولما كان الله عز وجل قد أرسل محمدا برسالته الخاتمة إلى البشرية كافة في جميع الأرض : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (سبأ : ٢٨) ، ولما كان الإسلام هو السلام للإنسانية جميعا ، ولما كان الله يرضى للإنسانية أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته ولا يرضى أن يكون ذلك وقفا على قوم دون قوم ، أو جنس دون جنس ، فقد انبثق من ذلك ثلاثة حقوق تستوجب الجهاد في سبيل إقرارها :

حقوق تستوجب الجهاد

١- " من حق البشرية أن تبلغ إليها الدعوة إلى هذا المنهج الإلهي الشامل وأن لا تقف عقبة أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال" [٧٢] فالأمة المسلمة قد أناط الله بها مهمة حماية العبادة والاعتقاد للناس جميعا ، ودفع الظلم والقهر الذي قد يحول دون ذلك ، وكفالة القسط والعدل للبشرية كافة ، ومقاومة الشر والفساد في الأرض ، بحكم الوصاية الرشيدة التي ناطها الله بهذه الأمة ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران) .﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

٢- ومن حق البشرية كذلك أن يترك الناس بعد وصول الدعوة إليهم أحرارا في اعتناق هذا الدين ، لاتصدهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة ، فإذا أبى فريق منهم أن يعتنقه بعد البيان ، لم يكن له أن يصد الدعوة عن المضي في طريقها ، وكان عليه أن يعطي من العهود ما يكفل لها الحرية والاطمئنان ، وما يضمن للجماعة المسلمة المضي في طريق التبليغ بلا عدوان ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس : ٩٩) ، ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦) .

٣- ومن حق هؤلاء الذين هداهم الله فاعتنقوا هذه الدعوة،" من حقهم أن لا يفتنوا عنها بأي وسيلة من وسائل الفتنة، لا بالأذى ،ولا بالإغراء ، ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى ؛ وتعويقهم عن الاستجابة ، وكان من واجب الجماعة المسلمة أن تدفع عنهم بالقوة من يتعرض لهم بالأذى والفتنة ضمانا لحرية العقيدة وكفالة لأمن الذين هداهم الله وإقرارا لمنهج الله في الحياة وحماية للبشرية من الحرمان من ذلك الخير العام "[٧٣].

يقول مذكور : وينشأ عن هذه الحقوق : ثلاثة واجبات على الجماعة المسلمة :-

الأول : " هو تحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية ، وتهدد حرية اعتناق العقيدة ، وتفتن الناس عنها ، وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين غير ممكنة لقوة في الأرض ، ويكون الدين لله . . لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان ، ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض ، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله . . وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله ، وهداه

---

[٧١] سيد قطب : في ظلال القرآن ، الجزء الثاني ، ص ١٨٦ .

[٧٢] المرجع السابق .

[٧٣] المرجع السابق .

عن أهله ، ويضلهم عن سبيل الله ، بأي وسيلة ، وبأية أداة .

والواجب الثاني :- أن يعلم المسلمون أنهم لاينصرون بعددهم ولا ينصرون بعدتهم وعتادهم إنما هم ينصرون بإيمانهم وطاعتهم وعون الله لهم ، فإذا هم تخلوا عن توجيه الله ، وتوجيه رسوله صلى الله عليه وسلم فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذي يرتكنون إليه .

والواجب الثالث :-أن يدرك المسلمون أن الجهاد الوحيد الذي يأمر الإسلام به ، ويقره ويثيب عليه ، ويعتبر الذين قتلوا في سبيله شهداء ، والذين يحتملون أعباءه أولياء ، هو الجهاد في سبيل الله : أي الجهاد في سبيل العقيدة لحمايتها من الحصار ، وحمايتها من الفتنة ، وحماية نظامها ومنهجها في الحياة . قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ (البقرة : ١٩٠) . [٧٤] ويقول سيد قطب رحمه الله في القتال المقبول عند الله : " إن القتال لله ، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة والقتال في سبيل الله لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض ، ولا في سبيل المغانم والمكاسب ولا في سبيل الأسواق والحامات ، ولا في سبيل تسويد طبقة أو جنس على جنس . . إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام ، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض وإقرار منهجه في الحياة . وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم ، أو أن يجرفهم الضلال والفساد ، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام ، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام " [٧٥].

أنواع أخرى غير القتال من الجهاد :

الحقيقة أن الجهاد – قتالاً في الميادين الحربية – ماهو إلا لون من ألوان الجهاد الكثيرة التي منها :

طلب العلم النافع : فطلب العلم النافع الذي تعمر به الحياة وترتقي جهاد في سبيل الله . لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول : " اللهم علمني ما ينفعني ، وانفعني بما علمتني " وكان عليه الصلاة والسلام يعتبر طالب العلم مجاهداً في سبيل الله : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع "(رواه الترمذى) .

ومن العلم التفقة في الدين : والتفقه في الدين من الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة : ١٢٢) .يقول سيد قطب – يرحمه الله.– " إن المؤمنين لا ينفرون كافة ، ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة – على التناوب – لتتفقه في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة ، وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم ، بما رأته ، وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة . . . " ويقول : " إن هذا الدين منهج حركي ، لا يفقهه إلا من يتحرك به ، فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه ، بما يتكشف لهم من أسراره ومعانيه ، وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به . . . ولعل هذا عكس ما يتبادر إلى الذهن ، من أن المتخلفين عن الغزو والجهاد والحركة هم الذين يتفرغون للتفقه في الدين ! ولكن هذا وهم ، لا يتفق مع

---

[٧٤] على أحمد مدكور : المفاهيم الأساسية لمناهج التربية ، مرجع سابق ، ص ٢٧١ .

[٧٥] سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

طبيعة هذا الدين . . . إن الحركة هي قوام هذا الدين ، ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به . ويجاهدون لتقريره في واقع الناس ، وتغليبه على الجاهلية ، بالحركة العملية . . . التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد وردهم إلى العبودية لله وحده بتحكيم شريعة الله وحدها ، وطرد شرائع الطواغيت" [٧٦] .

وجهاد النفس من أشق ألوان الجهاد : لأنه جهاد ضد النفس الأمارة بالسوء ، والهوى الغلاب والغريزة الطاغية ، والشهوة المنحرفة ، والمواريث الساقطة ، والتقاليد الهابطة ، والعادات السيئة ، والثقافات المنحرفة الوافدة . . . والصبر على الفترات التي يعلو فيها الباطل وينتفش ويبدو كالمنتصر ، والصبر على طول الطريق ، وبعد الشقة ، وكثرة العقبات في طريق محفوفة بالمكاره ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ (التحريم : ٦) . إن هذا اللون من الجهاد هو الذي يحدث تفاعلا داخليا وخارجيا يتولد عنه إنسان متميز متبوع لا تابع ، ورأس لا ذيل ، ومغير بإرادته وطاقاته التي منحه الله إياها ، وليس مجرد ترس في عجلة الحتمية التاريخية ، أو الحتمية المادية أو أية حتمية أخرى . وحين يفقد المسلم هذا اللون من جهاد النفس ، فإنه يتحول إلى مسخ مشوه للإسلام ، ولكل الفلسفات والنظريات الأخرى ، فتزى المسلم الاشتراكي ، والمسلم الشيوعي ، والمسلم الرأسمالي ، والمسلم الوجودي ، وهلم جرا . . . [٧٧] .

ويقول الدكتور علي أحمد مدكور : ومن أهم ألوان الجهاد المطلوبة اليوم :

الجهاد الاجتماعي : أي الجهاد من أجل تعديل أوضاع المجتمع المسلم التي انحرفت عن طريق الله ويكون ذلك عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . . . . إنه من الضروري أن نتعامل بإيجابية وفاعلية من أجل تصحيح الأوضاع الاجتماعية التي لا تستقيم مع منهج الله .

فالاستغلال ضد التوحيد ، والتفاوت الاجتماعي والنظام الطبقي والجهل البغيض ضد التوحيد . والجوع الكافر قد لا يترك للمرء لحظة يتذكر فيها الله . . . . ، والاستبداد يتنافى مع منهج الله تماما ، لأن الاستبداد في جوهره تقزيم للذات البشرية ، وحصر لدائرة تطلعاتها ، وإنكار لمبدأ المساواة والعدالة بين الناس .

وإذا كان المجتمع الإنساني كله في كل مكان وزمان هو موضع للدعوة والجهاد في سبيلها . فإن ذلك يستوجب ضرورة أن يتطور مفهوم الجهاد طبقا لظروف المجتمع ومتطلبات العصر وحاجات الناس ومشكلاتهم ، فهو ليس مجرد قتال من أجل الدعوة في ميدان القتال وإنما هو أيضا جد في طلب العلم ، وإحسان في العمل ، وإحسان في تربية الأجيال ، وبذل للنفس وبذل للمال . . . وهكذا كل نشاط تستقيم به حياة الإنسان على منهج الله . . . [٧٨] .

١٥ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن للجهاد أنواعا متعددة ، وضرورة أن يتضمن المحتوى نصوصا توضح هذه الأنواع ، وتوجهها التوجيه الإسلامي الصحيح .

القرآن والتغير الاجتماعي :

---

[٧٦] المرجع السابق : جـ ١١ ، ص ١٧٣٤ – ١٧٣٥ .

[٧٧] حسن أيوب : الجهاد والفدائية في الإسلام : بيروت . دار الندوة الجديدة ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م . ٣٢ .

[٧٨] علي أحمد مدكور : المفاهيم الأساسية لمناهج التربية . دار أسامة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

قاعدة التغيير[٧٩] :

الإسلام هو نظام الله للكون ، ومفهوم الدين في هذا النظام هو المنهج العام الذي يحكم الحياة ويقوم هذا النظام ، أو المنهج على أساس أن الحاكمية لله وحده ، وان الإنسان هو خليفة الله في أرضه ، وأن حق الخلافة يقتضي أن يساهم الإنسان – بإيجابية وفاعلية – في عمارة الأرض ، وترقيتها وفق منهج الله ، وأن كل فكر أو شعور ، أو قول ، أوعمل يقوم به الإنسان – أثناء حركته الدائبة المخلصة لله – في عمارة الكون ، هو جزء من عبادة الإنسان لله سبحانه يثاب عليه في الدنيا ويرصد له في الآخرة .

والتغير الذي يحدثه الإنسان في الأرض أو في المجتمع ، يتم وفق الإرادة المطلقه لله ، وهذا التغير إما أن يكون في اتجاه يهدف إلى تدبير شئون الخلق وفق منهج الله ، وإما أن يكون في أي اتجاه آخر ، وفي كل الأحوال فإن التغيير الاجتماعي الذي يحدثه الإنسان ، إنما يخضع لقاعدة ثابته تمثلت في قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١) .وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يَكُ مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الأنفال ٣) هاتان الآيتان من أصرح آيات القرآن تبيانا لسنة الله في التغيير .

ففي سياق تفسيره للآية الأولى يقول الحافظ ابن كثير إنه يروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : (أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصيه الله ، إلا حول عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون) ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . . . ﴾ وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ربه عز وجل قال : " قال الرب : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ، ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ماكرهت من معصيتي ، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي ، الا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي "[٨٠].

ويقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – في كتابه : (في ظلال القرآن) تفسيراً للآية الأولى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ : فالله سبحانه وتعالى يتعقب عبادة باليقظة من أمره لمراقبة ما يحدثون من تغيير بأنفسهم وأحوالهم ، فيرتب عليه الله تصرفه بهم ، فإنه لا يغير نعمة أو بؤسا ، ولا يغير عزا أو ذلة ، ولا يغير مكانة أو مهانة . . . إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم ، وواقع حياتهم ، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم ، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم من قبل أن يكون ، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم ، ويجئ لاحقا له في الزمان بالقياس إليهم " [٨١] .

وفي الآيتين التاليتين ، يرينا الله سبحانه وتعالى كيف تمضي سنته هذه في الخلق : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات

---

[٧٩] انظر : علي أحمد مدكور :منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢٢ وما بعدها .

[٨٠] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس ، جـ ٤ ، ص ٧٥ .

[٨١] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مـ ١ ، ج١٣ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص٢٠٤٩ .

ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (الأنفال :٥٣، ٥٤) .

يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه . فآل فرعون وأمثالهم ، حين كذبوا بآيات الله أهلكهم الله بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم ، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين [٨٢] . فالآيات السابقة إذن : تقرر حقيقة كلية ، وسنة من سنن الله في الكون يمضي بها قدره ، فما أصاب المشركين يوم بدر ، هو ما يصيب المشركين في كل وقت ، وقد أصاب آل فرعون والذين من قبلهم : كفروا بآيات الله : عقيدة وعملا ، فأخذهم الله بذنوبهم .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم . . . . ﴾ يدل على أن الله أهلك آل فرعون وكذلك الذين من قبلهم بعد أن أخبروا بآيات الله وكذبوا بها ، فهو لم يهلكهم قبلها ، مع أنهم كانوا كافرين ، لأن هذه سنته : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (الإسراء : ١٥) ، وملخص قاعدة التغير الاجتماعي في سنة الله : أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن ثبت على طاعة الله أدام الله عليه خيره ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، فلا تغيير من الله حتى يغير عبده من المسار الذي شرعه له ، قرآنا وسنة .

١٦ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الثبات على طاعة الله ورسوله يديم نعمة الله عليهم ، وأن عدم طاعة الله ورسوله سبب يؤدي إلى زوال نعمه ، وأن يقدم المحتوى إليهم النصوص القرآنية التي تؤيد ذلك وتوضحه لهم من خلال المحتوى المقرر .

٢ – الحياة الثقافية والمعرفية

النظام الثقافي في التصور الإسلامي :

أصول الثقافة في التصور الإسلامي

إنه لا يرفع شأن الإنسان في فكره ، أو في مظهره ، أو في مخبره . . . شيء ما يبتعد به عن توحيد الله ، والخضوع لحكمه ومن ثم فثقافة الإنسان تبتدئ من هذا المنطلق : التعرف على خالقه ، ثم توحيده وإخلاص العبادة له ، والرضا بحكمه حكما مطلقا ، يتمثل في تنفيذ الشريعة الإسلامية بكليتها : قرآنا وسنة ، ولذا يقول مذكور : " تقوم الثقافة في التصور الإسلامي على قاعدة أساسية هي إفراد الله سبحانه " بالعبودية " ، ومن ثم إفراده " بالحاكمية " ، وإفراد الله بالعبودية يتمثل في اتخاذ الله وحده إلها ، وإفراده بالحاكمية يعني تحكيم شريعة الله في كل مجالات الحياة [٨٣] ، ولا يتحقق هذا الأساس في الواقع إلا لمن عرف المنهاج المطلوب منه تنفيذه ، ثم عرف كذلك كيفية التنفيذ المرضي عنها من صاحب هذا المنهاج ، وهذا لا يوجد إلا في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة وفي هذا يقول مذكور كذلك : " وانطلاقاً من هذه القاعدة ، فإن الثقافة في التصور الإسلامي ذات شقين :

---

[٨٢] ابن كثير : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص٣٣٦ ، ٣٣٧ .

[٨٣] علي أحمد مدكور ، منهج التربية في التطور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

الأول : الشق المعياري ، ويتمثل في شريعة الله؛ أي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الثاني : الشق التطبيقي ، ويتمثل في التطبيق العلمي الواقعي للشق المعياري[٨٤] ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن شريعة الله وسعت الإنسان في كل متطلبات حياته ومماته . . ودنياه وأخراه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ هذه الشريعة ، طبقها : قولا وعملا هو وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لم يمت حتى أنزل الله عليه قوله جل وعلا : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة :٣) .

ويجمل الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – مكونات الشريعة الإسلامية بصفة عامة فيقول :

١– أصول الاعتقاد : كتصور حقيقة الألوهية ، وحقيقة الكون ، غيبه وشهوده وحقيقة الحياة : غيبها وشهودها وحقيقة الإنسان ، والارتباط بين هذه الحقائق كلها ، وتعامل الإنسان معها كلها .

٢ – أصول الحكم : ويتمثل في الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والأصول التي تقوم عليها ، ليتمثل في العبودية الكاملة لله وحده ،كما يتمثل في التشريعات القانونية التي تنظم هذه الأوضاع .

٣ –أصول الأخلاق والسلوك : وتتمثل في المعايير والقيم والموازين التي تسود المجتمع ، ويقوم بها الأشخاص وتؤدى بها الأعمال في الحياة الاجتماعية في جميع جوانبها .

٤– أصول المعرفة : وتتمثل في أصول العلم ، وفي أصول النشاط الفكري ، والتربوي ، والفني والأدبي جملة وتفصيلا .[٨٥]

وهذه المكونات التي تحدث عنها شهيد الإسلام تمثل الشق الأول – الشق المعياري – ، وفيه يقول مدكور : " ومعنى أن هذا الشق " معيارى " أن كل ما عداه من المناهج والنظم والتشريعات والقوانين وأنماط السلوك الفكري والقولي والعملي – الفردي والجمعي– يقاس عليه ، لكنه هو لايقاس على شئ من خارج ذاته ، وما ذلك إلا لأنه شق رباني ، ثابت ، لايمكن التلقي فيه إلا عن الله[٨٦] "، وكل ما كان من الله فليس كمثله شئ ، لذا فتركه والأخذ بسواه ، أو خلطه بغيره ينافي العبودية لله ، ويؤدى إلى الخروج عن منهج الله تماما ، أما الشق الآخر للثقافة في التصور الإسلامي فهو المتمثل في التطبيق الصحيح للشق الأول : قولا وشعورا وتفكيرا وعملا ...، وكل ما يخالف هذا الشق من قوانين وعادات وتقاليد وأفكار وسلوك مما يشيع في المجتمعات لايعتبر من مكونات الثقافة الإسلامية .

إذن فما مفهوم الثقافة في الإسلام ؟

مفهوم الثقافة في التصور الإسلامي :

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الثقافة في التصور الإسلامي كما يقول مدكور : " بأنها الأسلوب الكلي لحياة الجماعة المسلمة الذي يتسق مع التصور الإسلامي للألوهية والكون والانسان والحياة وهي بهذا تشمل أصول

---

[٨٤] المرجع السابق .

[٨٥] سيد قطب : معالم في الطريق ، ط١٠ – بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢م ، ص١٣٥ ،١٣٦ .

[٨٦] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ .

الاعتقاد ، وأصول العمل ، وأصول الحكم . وأصول المعرفة . وأصول الأخلاق والسلوك وكل التشريعات والنظم والقوانين التي تخضع لها ، وجميع أشكال التطبيق العملي الواقعي وأنماط السلوك الجماعي والفردي التي تتسق معها نصا وروحا .

خصائص الثقافة في التصور الإسلامي :

وللثقافة الإسلامية خصائصها التي تتميز بها عن كل الثقافات ، فهي ثقافة موحى بها من عند رب الإنسان الذي علم ما يجمل به الإنسان ويحسن في عقيدته وملبسه ومخبره وكل حركاته وسكناته فشرع له ما يقومه وأبعد عنه ما يعوج به عن الصراط السوي ، ومن هنا كانت هذه الثقافة عبادة لمن يتمثل بها ، لأنها ربانية المنبع تعتمد على الشريعة المتمثلة في كتاب الله المحفوظ بحفظ الله وسنة رسوله المطبقة لهذا الكتاب المجيد . فهي ربانية عالمية ، إنسانية لاتحدها الحدود الجغرافية ، أو الحرائط السياسية . . وإنما حدودها هي حدود فكرتها ، وفكرتها جاءت للناس أجمعين ، والمطلوب من الناس كل الناس أن يتثقفوا بها : ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون : ٥٢) . وبما أن الجانب المعياري في هذه الثقافة – الجانب التشريعي – جانب إلهي – فهو ثابت – يصف ما يجب أن تكون عليه الحياة على الأرض ، بمن عليها وما عليها ، ولذلك فهوجانب مطلق وملزم . أما جانبها التطبيقي العملي ، فهو لازم لزوما حتميا للجانب المعياري . وإن تغيرت صوره وأشكاله – وهي لابد أن تتغير – بتغير الزمان والمكان ، ولكن في ضوء الموجهات المعيارية . وفي نطاق محورها ، ومن شأن هذه الثقافة الإسلامية أنها تؤكد الصلة بين الإنسان المسلم وربه ، وذلك من خلال تمرسه بها يوميا ، وهي ثقافة عابدة ، لأنها تجعل الإنسان يفرد ربه بالعبودية ، ويخصه وحده –سبحانه– بالحاكمية، فهي ثقافة حرة ، لأنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله .

وهي أيضا ثقافة عادلة ، يقول مدكور :" وهي أيضا ثقافة عادلة ، حيث إنها ربانية وعالمية . وليست قومية ولا محلية ، ولا إقليمية – فهي تكره الاحتكار والاستغلال والظلم في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفي جميع أنماط السلوك الإنساني ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة : ٨)[٨٧] .

وهي ثقافة متعادلة : فيها التوازن بين ما يدركه الإنسان فيسلم به ، وبين ما يتلقاه ، فيبحث عن علله وبراهينه وغاياته ، ويفكر في مقتضياته العملية وتطبيقاته في الحياة الواقعية ، وفيها التوازن بين طلاقة المشيئة الإلهية ، وثبات السنة الكونية ، وفيها التوازن بين مجال المشيئة الإلهية الطليقة ، ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة ، وفيها التوازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله ، وبين مقام الإنسان الكريم في الكون ، وفيها التوازن في مصادر المعرفة بين التلقي من الوحي والنص ، والتلقي من الكون والحياة ، وفيها التوازن بين حاجات الإنسان الروحية وبين حاجاته المادية والاجتماعية[٨٨] .

ويقول الأستاذ محمد أسد " إن الثقافة التي لاتستطيع أن تقيم توازنا بين حاجات الإنسان الجسمانية والاجتماعية

---

[٨٧] المرجع السابق : ص ٢٣٧ .

[٨٨] انظر سيد قطب :خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،بيروت،دار الشروق،ط٧،الفصل الخاص بالتوازن،ص١١٤.

، وبين أشواقه الروحية ، لاتستطيع – مهما بلغت من التقدم – أن تتغلب على استعداد الإنسان الأعمق للسقوط فريسة لأي هتاف عدائي ، أو نداء للحرب ، وإذا فقدت الثقافة توازنها فإنها تصبح صورة قاسية من صور القلق ، والحيرة الذهنية ، والتمزق النفسي ، وفقدان الهدف الحقيقي للحياة [٨٩] .

يقول مدكور : " والثقافة الإسلامية بهذا المفهوم وبهذه الخصائص تختلف في مصدرها وفي غايتها عن الثقافات البشرية الأخرى اختلافا بينا ، فالثقافات البشرية عموما ، والغربية منها على وجه الخصوص ، تعرف لدى بعض علماء الغرب بأنها " الأسلوب الكلي لحياة الجماعة " . وهذا التعريف للثقافة يشمل جميع أنماط التفكير والعمل والسلوك المعرفي والوجداني والحركي ، فطريقة تفكير الجماعة ، وطريقتهم في العمل . وأساليبهم في التعليم والتعلم وطرائقهم في التعامل ، ومعتقداتهم وقيمهم ونظمهم ، وحتى الطرق التي يأكلون ويشربون بها ، والكيفية التي يمشي الناس بها في الطرقات ، أو يقودون بها السيارات . . . الخ ، كل هذه أنماط ثقافية ، تختلف باختلاف المجتمعات ، وباختلاف الفلسفات والنظريات التي تغذي هذه الثقافات وتوجه أنماط السلوك فيها .

وهذه الثقافات وصفية أي : أنها تصف الأسلوب الكلي لحياة الجماعة في زمن معين . وهي متغيرة في جانبيها : الاعتقادي الفلسفي ، والسلوكي الواقعي ، ولكن مع اختلاف في التسمية فقط ، وليس هناك التزام مطلق بين الجانبين ، وهي بحكم بشريتها في المصدر : قومية وإقليمية وشعوبية ، كما أنها ثقافات مفروضة ، حيث إن القوى أو الطبقات الاجتماعية القوية ، هي التي تنجح في فرض ثقافتها عن طريق وسائل الإعلام والإعلان والمناهج التربوية ، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشرع للمجتمع ، وتنظم حركة نشاطه .

موازنة موجزة بين خصائص الثقافة الإسلامية ، وخصائص الثقافات الأخرى

م	خصائص الثقافة الإسلامية	خصائص الثقافات الأخرى
١	ربانية : مصدرها القرآن والسنة .	بشرية : مصدرها الفلسفات والنظريات الوضعية .
٢	عالمية وإنسانية .	قومية ، وإقليمية ، وشعوبية .[٩٠]
٣	جانبها المعياري ثابت ، وجانبها التطبيقي الواقعي لازم لزوماً مطلقاً للجانب المعياري . وإن تغيرت صور هذا الجانب التطبيقي وأشكاله .	جانبها المعياري متغير نسبيا ، وجانبها التطبيقي متغير دائماً ، وغير ملتزم التزاماً كلياً أو مطلقاً بالجانب المعياري .
٤	يجب أن تتغير وتتطور الأشكال والصور الثقافية ؛ ولكن في ضوء الموجهات المعيارية وحول محورها .	لا حدّ لتغير الأشكال والصور الثقافية مع غياب المعايير والقيم الإنسانية التي توجهها .

٨٩ محمد أسد:الطريق إلى الإسلام، في أنور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد. بيروت، دار الكتاب اللبناني، رقم٦ ص٢٤٢ .

٩٠ انظر ، رشدي أحمد طعيمة "اهتمامات الأجانب نحو الثقافة العربية الإسلامية" في دراسات تربوية ج٣ ، ص ٢٢٢ – ٢٣٢ .

٥	تعقد الصلة الدائمة بين الإنسان وربه ، فيفرد الإنسان ربه بالعبودية ، ومن ثم بالحاكمية .	تعبد العباد للعباد .
٦	ثقافة حرة ، لأنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله .	ثقافات مفروضة بواسطة الطبقات أو الجماعات المسيطرة اقتصادياً وسياسياً .
٧	ثقافة متوازنة ، فيها توازن بين الغيب والشهادة وبين الروح والمادة .	تفتقد التوازن .
٨	ثقافة عادلة ، حيث إنها ثقافة ربانية وعالمية ، ليست قومية ولا أقليمية ، فهي تكره الاحتكار والاستغلال والظلم في كل زمان وفي كل مكان وفي جميع أنماط السلوك .	لأنها ثقافة بشرية : فهي قومية وشعوبية ، تقوم على الاحتكار والاستغلال والظلم .

١٧ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ حقيقة النظام الثقافي في التصور الإسلامي وأن يختار لهم المحتوى نصوص القرآن التي توضح لهم هذه الحقيقة .

الحضارة في التصور الإسلامي

مفهوم الحضارة في التصور الإسلامي

عندما تكون الثقافة الإسلامية ترجمة عملية للجانب المعياري فيها – مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان . . تتحقق الحضارة .

فالحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها : إنسانيا ، وخلقيا ، وعلميا ، وأدبيا ، وفنيا ، واجتماعيا ، وفق التصور الإسلامي للكون وللإنسان وللحياة .

" وبناء على هذا المفهوم ، فإن " المجتمع الإسلامي" وهو المجتمع الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة ، هو وحده المجتمع المتحضر" [٩١] . قال تعالى :﴿ إنِ الحكمُ إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يوسف : ٤٠) .

فالحضارة الحقة إذن : يجب أن تكون في اتباع كتاب الله كله ، واتباع سنة رسوله كلها . " فلقد أقسم المولى – عز وجل – بنفسه – كما يقول ابن القيم – على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسول الله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف منهم بذلك حتى يسلموا تسليما " [٩٢] ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء : ٦٥) .

فنظر الإسلام إلى الحضارة ذاتها كما يقول الأستاذ محمد أسد :" ذاتية الحضارة الإسلامية "[٩٣] . فالحضارة

---

[٩١] سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

[٩٢] ابن القيم : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت ، دار الجيل ، جـ١ ، ص ٥١ .

[٩٣] انظر : محمد أسد الطريق إلى الإسلام ، مرجع سابق .

obeikandl.com

الإسلامية ليست ثمرة تقاليد متوارثة ، ولا نتيجة تطورات وتيارات فكرية آتية من الماضي ، وإنما هي انبعاث ذاتي من القرآن الكريم ، ومن سنة رسولنا عليه الصلاة والسلام ومن تطبيقهما تطبيقا عمليا صحيحا في واقع الحياة .

أصول الحضارة في التصور الإسلامي :

الأصل الأول : هو أن تكون الحاكمية في المجتمع لله ، وبذلك يتحرر الإنسان فيه من العبودية لغير الله ، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية ، " ولا حرية – في الحقيقة – ولا كرامة للإنسان– ممثلا في كل فرد من أفراده في مجتمع بعضُه أرباب يشرعون [٩٤] وبعضُه عبيدٌ يطيعون ."

والتقدم الإنساني في عرف الإسلام موقوف على اتباع شريعة الله لا غير ، ولا تتحقق الحضارة في نظره بدون ذلك ، والتقدم المادي فقط هو الحضارة في غير الإسلام من المذاهب والتيارات الفكرية التي لا عاصم لها من شريعة الله ، ويؤكد هذا المعنى الدكتور يوسف أحمد في بحثه عن روح الحضارة الإسلامية ، إذ يقول : إن أبرز اختلاف بين مفهوم الحضارة في الفكر الإسلامي ومفهومها في الفكر الغربي يقوم على تفسير " التقدم " فالغرب يرى التقدم ماديا خالصا ، بينما يرى الإسلام أن التقدم معنوي ومادي ، وأنه إنساني أصلا ، وتوحيدي أساسا . ." [٩٥] .

الحضارة الحقة إنما تتحقق بالعودة إلى النبع الصافي :

النبع الصافي هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة بأنواعها ، وكل شعور أو قول او عمل صدر من المسلمين : فرادى وجماعات ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم القيامة ، وكان تصديقا عمليا للقرآن والسنة ، والحضارة الحقة موقوفة على الري منه ، والتطهر به ؛ فهو موجود على حاله ، وعلى صفاته ، فمن شاء استقى منه مباشرة ، أو سحب الماء منه في أنابيب لا يصل إليها قذر ولا يخالطها كدر .

العقيدة رابطة التجمع الحضاري الأساسية في المجتمع المسلم

الأصل الثاني : هو أن تمثل العقيدة رابطة التجمع الأساسية في المجتمع ؛ وبذلك أيضا يكون المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد المتحضر ؛ لأن العقيدة – وحدها – تمثل رابطة التجمع الأساسية فيه ، فالعقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر ، والعربي والفارسي ، والرومي والحبشي فسائر أجناس الأرض يجتمعون في أمة واحدة ، ربها واحد هو الله ، ومنهجها واحد لأنه من الله ، والأتقى فيها هو الأكرم عند الله . وبذلك فإن جنسية المسلم هي عقيدته التي تجعله عضواً في " الأمة الإسلامية " .

والعقيدة هي الوطن ، ولا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله ، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله ، إذن فالارتباط على أساس العقيدة هو الذي يجعل المسلم عضواً أيضا في "دار الإسلام" .

يقول الشيخ علي الطنطاوي : " إنه لا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله فتصل الوشيجة بينه وبين أهله في الله، إنه على أساس من العقيدة طرد الإسلام " أبا لهب " عمّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – العربيّ القرشيّ من الجنسية الإسلامية ، بل وجعل سه عبادة ومشتمه صلاة : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾

---

[٩٤] سيد قطب . معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص١١٨ ، ١١٩ .

[٩٥] انظر مذكور ، منهج التربيةفي التصور الإسلامي ، مرجع سابق ،ص٢٤٨ .

(المسد : ١) ، وعلى العكس من ذلك نجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يضم سلمان الفارسي – وهو غير عربي – لا إلى الإسلام فقط ، بل إلى بيت النبوة ، فيقول : " سلمان منا آل البيت "[٩٦] .

وعلى أساس يفرق الإسلام بين نوح وامرأته ، ولوط وامرأته . وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ (التحريم : ١٠) .

وكذلك يتم هذا التفريق بين نوح وابنه فينجو نوح ومن آمن معه ويغرق ابنه غير المؤمن ، ويقول له الله سبحانه وتعالى : ﴿ يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ (هود : ٤٦) .

والعكس يحدث مع امرأة فرعون :﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ (التحريم : ١١) .

ويقول مدكور :" أما وشائج اللحم والدم ، والأرض والدين ، كالجنس واللون ، والقومية ، والقرابة والإقليمية . . الخ فإن الإسلام يرفع الإنسان عن مستواها ، والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول للمهاجرين والأنصار : " دعوها فإنها منتنة " ، إذن فالصخرة واحدة وهي " العقيدة " إذا انعقدت فالمسلم عضو في " الأمة الإسلامية " وعضو في " دار الإسلام " ، والمؤمنون كلهم " إخوة " ، ولو لم يجمعهم نسب أو مصاهرة ﴿ إنما المؤمنون إخوة . . .﴾ (الحجرات : ١٠) وبالتوكيد والقصر ، ولا ولاية عليهم من خارجهم ، بل بعضهم أولياء بعض ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ (الأنفال : ٧٢) ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (التوبة ٧١) .

وأثر العقيدة في نفوس المسلمين أقوى من أي أثر آخر ومفعولها في جمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف ، والإخلاص في العمل والتفاني لنصرة الدين والعمل على تحقيق الحرية والكرامة للإنسان خير شاهد على أن العقيدة تبعث في الإنسان معنى الأخوة الحقيقية بصفة لا مثيل لها ، وخير شاهد على ذلك التاريخ الذي سجل ذلك في صفحاته للأمة الإسلامية في ماضيها المجيد .

ولآصرة التجمع الأساسية في المجتمع الإسلامي حكمة " ربانية " بالغة . ومن ثم ، فهي "عقلية " و" علمية " يقول الأستاذ سيد قطب : حين تكون آصرة التجمع الأساسية في مجتمع ما هي العقيدة والتصور والفكرة ومنهج الحياة ، يكون ذلك ممثلا لأعلى ما في إنسانية الإنسان من خصائص .

أما حين تكون آصرة التجمع في مجتمع هي الجنس واللون والقوم والأرض . . . وما إلى ذلك من روابط ، فإن هذه الروابط كلها لاتمثل الخصائص العليا للإنسان وذلك بسببين حاسمين :

السبب الأول : هو أن الإنسان يبقى إنسانا بعد الجنس واللون والقوم والأرض ولكنه لايبقى إنسانا بعد العقيدة والفكرة ، وحرية الإرادة[٩٧].

---

[٩٦] الشيخ علي الطنطاوي : ' سووا صفوفكم ' الشرق الأوسط .العدد ٩ ١٠ / ٢ / ١٩٨٧ م ص ١٠ .

[٩٧] سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

السبب الثاني :" هو أن الإنسان يملك – بمحض إرادته الحرة – أن يغير عقيدته ، وتصوره وفكره ، ومنهج حياته فهذه مزايا شخصية يستطيع من يشاء اكتسابها – كما يقول الشيخ علي الطنطاوي – ولكنه لا يملك أن يغير لونه ، ولا جنسه ، كما أنه لا يملك أن يحدد مولده في قوم ، ولا في أرض " [٩٨] .

الأصل الثالث : من أصول ومقومات الحضارة الإسلامية هو أن تكون " انسانية " الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع وأن تكون الخصائص" الإنسانية " فيه هي موضع التكريم والاعتبار فعندئذ يكون المجتمع متحضرا ، أما حين تكون " المادة " – في أية صورة – هي القيمة العليا ، فإن هذا المجتمع يكون مجتمعا متخلفا [٩٩] ، مهما بلغت درجة تقدمه العلمي والاقتصادي والصناعي ، لكن المجتمع المتحضر الإسلامي لايحتقر المادة – كما يقول الأستاذ سيد قطب – : " ولكنه فقط لا يعتبرها القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص " الإنسان " ومقوماته . وتهدر من أجلها هوية الفرد وكرامته ، وتهدر فيها قاعدة " الأسرة " ومقوماتها ، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته . . إلى آخر ما تهدره المجتمعات الجاهلية من القيم العليا والفضائل والحرمات لتحقيق الوفرة في الإنتاج المادي [١٠٠] .

إن هذه " الصبغة الإنسانية " النابعة من العقيدة الإسلامية هي التي تفسر لنا اجتياح الإسلام لفكر الامبراطوريات التي فتحها ، وثقافاتها . وعاداتها . وتقاليدها وصياغتها صياغة جديدة . حتى لكأن الثقافات والموروثات المعمرة التي كانت بها لم تكن ، كما يقول الأستاذ أنور الجندي [١٠١] .

إن أهم خصائص الحضارة الإسلامية على الإطلاق هي اتصال العقيدة الإسلامية والقيم الانسانية النابعة منها بالنظام الاجتماعي القائم عليها ، فالفصل بينهما يؤدي إلى سقوط الأخلاق الذي يؤدي بدوره إلى تحلل النسيج الاجتماعي ، وضعفه وموته ، مهما كانت القوة الاقتصادية .

الأصل الرابع : هو أن تكون " الأسرة " هي قاعدة البناء الاجتماعي ، وأن تقوم على أساس التخصص بين الزوجين في العمل ، وأن تكون رعاية الجيل الناشئ هي أهم وظائف الأسرة ، فالمجتمع الذي هذا شأنه هو المتحضر . . . ذلك أن الأسرة على هذا النحو ، في ظل المنهج الإسلامي كما يقول الأستاذ سيد قطب : تكون هي البيئة التي تنشأ وتنمى فيها القيم والأخلاق " الإنسانية " . . . ممثلة في الجيل الناشئ ، والتي يستحيل أن تنشأ في وحدة أخرى غير وحدة الأسرة ، فأما حين تكون العلاقات الجنسية (حرة كما يسمونها) والنسل (غير الشرعي) هو قاعدة المجتمع . . . حين تقوم العلاقات بين الجنسين على أساس الهوى والنزوة والانفعال ، لا على أساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة . . . حين تصبح وظيفة المرأة هي الزينة والغواية والفتنة . . . وحين تتخلى المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الجيل الجديد ، وتؤثر هي ، أو يؤثر لها المجتمع : " أن تكون عاملة في أي مكان ، بالنهار أو بالليل " . . حين تنفق طاقتها في الإنتاج المادي "و" صناعة الأدوات " . ولا تنفقها في " صناعة الإنسان " . لأن الإنتاج المادي

---

[٩٨] علي الطنطاوي : مرجع سابق .

[٩٩] المرجع السابق ، ١٢١ .

[١٠٠] المرجع السابق .

[١٠١] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ٢٢٧ .

يومئذ أغلى وأعز وأكرم من "الإنتاج الإنساني" عندئذ يكون هذا هو "التخلف الحضاري" بالقياس الإنساني ، أو تكون هي الجاهلية بالمصطلح الإسلامي .[١٠٢]

" لقد شاءت فطرة الله أن يكون ميدان إنشاء العنصر الإنساني ، وتنشئته هو ميدان عمل المرأة بالدرجة الأولى ، ويقارن الشيخ محمد متولي الشعراوي بين ميدان عمل المرأة هذا وبين ميدان عمل الرجل خارج البيت ، ويرى أن ميدان عمل المرأة أهم وأدق من ميدان عمل الرجل لأن الرجل بحكم عمله خارج البيت إنما يتعامل مع أشياء هي كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو أكرم ما في الوجود كله ، أما المرأة فمهمتها هي التعامل مع هذا المخلوق الراقي الكريم على الله وهو الإنسان تتعامل معه كزوج فيسكن إليها ، وتتعامل معه جنينا في بطنها ، ووليداً في حضنها ، ورضيعا تغذوه ، وتحنو عليه ، وطفلا وصبيا وشابا تربيه وترعاه ، وتضرب له المثل[١٠٣] .

" فالمرأة لم تزود بالعطف والحنان والرفق بالطفولة والقدرة على فهمها وإفهامها والسهر على رعايتها في أطوارها الأولى لتهجر البيت وتلقي بنفسها في غمار الأسواق والدكاكين . . وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأنا ، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت ، لأنهما عالمان متقابلان : عالم العراك والجهاد ، يقابله عالم السكينة والاطمئنان ، وتدبير الجيل الحاضر يقابله تدبير الجيل المقبل . . . وكلاهما في اللزوم وجلالة الخطر سواء"[١٠٤] .

والخلاصة : أن الإسلام هو الحضارة ، والمجتمع الإسلامي هو المجتمع المتحضر ، لأنه يؤمن أن إعداد جيل يترقى في خصائص " الإنسانية " ويبتعد عن خصائص " الحيوانية " ، لا يمكن أن يتم إلا في" محضن " أسرة قائمة على أساس الواجب والتخصص ، ومحوطة بضمانات الأمن والاستقرار العاطفي ، فهذا ما يوفر للجميع مقومات الترقي على خط التقدم الإنساني ، ولذلك جعل الله الزوجة شق النفس ، ومحضن السكينة والأمن والاستقرار ، فهذا هو المحضن " الإنساني " الوحيد الذي يعد الأجيال التي تسير صعدا على خط التقدم الإنساني . قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون ﴾ (الروم: ٢٠).

الأصل الخامس : هو أن يقوم الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في العمل ، ولكن ما المقصود بالعمل في التصور الإسلامي ؟ العمل صورة من صور " العبادة " ويتضح ذلك في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ (الكهف : ٣٠) . فالحضارة في التصور الإسلامي لاتقوم على مجرد العمل ، بل تتطلب ضرورة " الإحسان في العمل " ، والإحسان في العمل ذو شقين : الشق الأول هو استخدام أقصى درجات المهارة والإتقان فيه . يؤكد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :﴿ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ﴾ ، ولكن هل يكفي الإتقان في العمل والمهارة في أدائه لبناء حضارة حقيقية ؟ الإجابة الصحيحة ، هي أن ذلك بالتأكيد لايكفي ، وهنا نصل الى : الشق الثاني لمعنى " الإحسان في العمل

---

[١٠٢] سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١٢٣-١٢٤ .

[١٠٣] عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة ، الكتاب الثامن في الإسلام وتحديات العصر (القاهرة) دار الفكر العربى ص ١٤٣ .

[١٠٤] عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، القاهرة ، دار الإسلام ١٩٧٣ م ، ص ٤٦ - ٤٧ .

" ؛ وهو التوجه بالعمل إلى ا لله . فالعمل عبادة ، والإحسان في العمل مرتبط بمفهوم " الإحسان " في التصور الإسلامي ، وهو " أن تعبد ا لله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . إذن فالإنسان المتحضر والمجتمع المتحضر هو الذي يؤدي العمل بأقصى درجات المهارة والإتقان . مع مراعاة ا لله في أدائه . فالعامل المتحضر المسلم يرى ا لله في عمله ، أو يؤمن بأن ا لله يراه [١٠٥].

والخلاصة هي أن الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي مرتبطان ارتباطا عضويا . فعندما يكون الجانب العلمي للثقافة تطبيقا واعيا وعمليا صحيحا للجانب المعياري فيها . مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان ؛ تكون الحضارة ، فالحضارة – كما سبق أن قلنا – هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها : إنسانيا ، وخلقيا ، وعلميا ، وأدبيا ، واجتماعيا ، وفق منهج ا لله وشريعته [١٠٦] . وعندما يصل المجتمع المتحضر الإسلامي إلى هذه الدرجة ، ويظل متمسكا بمقومات حضارته وهي : إفراد ا لله بالعبودية – ومن ثم إفراده بالحاكمية – واعتبار العقيدة هي آصرة التجمع الرئيسة . واعتبار إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع ، واعتبار الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي ، وقيام الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في العمل . . . عندئذ يتبوأ المجتمع المتحضر الإسلامي مكانته اللائقة في التربية الإنسانية وقيادتها إلى الحق والعدل الأزليين الكامنين في بنية الكون . وفي فطرة الإنسان ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . .﴾ (الأعراف : ٩٦) . .

١٨ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الحضاري في التصور الإسلامي ، وأن يختار لهم المحتوى نصوص القرآن التي توضح لهم هذه الحقيقة .

طبيعة المعرفة في الإسلام

مقدمة : إن ا لله – سبحانه وتعالى – استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها ، وليتخذ من عمارتها تحقيقا عمليا لعبادة ا لله سبحانه وتعالى ، ولا سبيل لهذا الإنسان ليقوم بذلك إلا عن معرفة وتربية وتوجيه . والمعرفة والتربية والتوجيه . . كل هذا هو شريعة ا لله للإنسان التي يستضئ بها في تحقيق عمارة الكون عمارة تعبدية . يقول مدكور : إن الإسلام هو شريعة إلهية ، ونظام مشتق منها لحكم الحياة . والإنسان في هذا النظام هو خليفة ا لله في الأرض ، فهو مستخلف من ا لله فيها للعبادة ، ومقتضى العبادة أن يساهم الإنسان – بإيجابية وفاعلية – في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج ا لله ، ولكي يقوم الإنسان بواجبات الخلافة على نحو رباني وإيجابي وواقعي . فلابد من تربيته وإعداده " [١٠٧] . والتربية أساس المعرفة ، والمعرفة لازمة من لوازم إعمار الأرض وإحسان الخلافة فيها حتى يتحقق ما وجد الإنسان من أجله ، فما هي التربية ؟

---

[١٠٥] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ص . ٢٥٩ .

[١٠٦] علي أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق . ص ٢٦١ .

[١٠٧] علي أحمد مدكور . منهج التربية في التصور الإسلامي . المرجع السابق ص ٢٦٥ .

مفهوم التربية : [١٠٨]

التربية عملية متشعبة ذات نظم ، وأساليب متنوعة ، تنبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، وتهدف إلى إيصال الإنسان شيئا فشيئا إلى الدرجة الكاملة التي هيأه الله لها وبذلك يستطيع القيام بحق الخلافة في الأرض ، عن طريق إعمارها ، وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله ، وتفصيل ذلك : إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة " التربية " أصولا لغوية ثلاثة كما يقول الأستاذ عبدالرحمن الباني [١٠٩] :

الأصل الأول : رَبَا – يَرْبو ، بمعنى زاد ونما ، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ﴾(الروم :٩٣) ،﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ (البقرة :٢٧٦) .

الأصل الثاني: رَبا يُرْبي على وزن خَفَى يُخْفي،ومعناه نشأ وترعرع،وعليه قول ابن الأعرابي :

فمن يك سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها رَبيتُ

الأصل الثالث : رَبَّ يَرُبُّ ، بوزن مد يمد ، بمعنى أصلحه وتولى أمره ، وسار وقام عليه ورعاه . . . وقد اشتق بعض الباحثين من هذه الأصول اللغوية تعريفاً اصطلاحياً للتربية ؛ قال الإمام البيضاوي " المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية " في تفسيره : " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " : الرب في الأصل بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ، ثم وصف به تعالى للمبالغة .

وفي كتاب مفردات الأصفهاني المتوفى في ٥٠٢ هجرية " الرب في الأصل التربية " ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، وقد استنبط الأستاذ الباني من هذه الأصول اللغوية ، ومما قاله البيضاوي والأصفهاني أن التربية تتكون من العناصر التالية :

أولها : المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .

ثانيها : تنمية مواهبه واستعداداته كلها ، وهي كثيرة ومتنوعة .

ثالثها : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها اللائق بها .

رابعها : التدرج في هذه العملية ، وهو ما يشير إليه البيضاوي بقوله : " شيئا فشيئا " والأصفهاني بقوله : " حالا فحالا " ثم يستخلص الأستاذ الباني من هذه العناصر نتائج أساسية في فهم التربية :

أول هذه النتائج : أن التربية عملية هادفة ، لها أغراضها وأهدافها وغايتها .

النتيجة الثانية : أن المربي الحق على الإطلاق هو الله . . . خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سن سُننا لنموها وتدرجها وتفاعلها ،كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها .

النتيجة الثالثة : أن التربية تقتضي خططا متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد ، ينتقل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة .

---

[١٠٨] انظر المرجع السابق .

[١٠٩] عبد الرحمن الباني :مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ،١٩٨٣م ص٧-١٤ .

النتيجة الرابعة : أن عمل المربي تال وتابع لخلق ا لله وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع ا لله ودينه وأحكامه [١١٠] .

وقد أجمل الشيخ محمد متولي الشعراوي هدف التربية بقوله : " إن التربية هي إيصال المربى إلى درجة الكمال " التي هيأه ا لله لها ، فالتربية هي حيثية إيماننا بألوهية ا لله ، فنحن آمنا با لله معبودا ؛ لأننا آمنا به ربا ، ولذلك يقول الحق سبحانه حين يطلب منا أن نوجه الحمد لصاحب النعمة " الحمد لله " وحيثية ذلك أنه " رب العالمين " [١١١] .

بين التربية والتعليم :

فالهدف من التربية إذن هو إيصال المربى إلى درجة الكمال التي هيأه ا لله لها ، فهي تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية . وهي تستعين بوسائل منها " التعليم " فالتعليم وسيلة للتربية ، ومدلوله أضيق من مدلولها لأنه مرتبط بموضوع معين .

و"التعليم " قد يهدف إلى تحصيل المعرفة ، أو التدريب على مهارة ، أو حفظ نص من النصوص الأدبية ، أو قانون من قوانين الرياضة ، أو الطبيعة " .

و"التربية " تتخذ كل ذلك لتربية المشاعر ، وتنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون الذي صنعه ا لله ، وتربية الضمير والوجدان ، وتربية الإرادة الحرة الواعية ، والقيم الإنسانية ، والقيم الخلقية التابعة لها ، وأنماط السلوك التابعة لها .

" ومع ذلك فإن كل عمل تعليمي جيد ، لابد أن يكون له هدف تربوي . . . أي إن التعليم المثالي إنما هو تربية ، ولكنه – في الاصطلاح – يظل – مربوطا بموضوع ما " [١١٢] في حين أن التربية تتناول النفس الانسانية ، أو الشخصية الإنسانية كلها .

إذن فالتربية والتعليم ليسا متعارضين ، ولا منفصلين ، بل هما متآزران ومتكاملان ، ويترتب على هذه العلاقة تطبيقات كثيرة في تخطيط المناهج وتطويرها ، وفي إعداد الكتب ، وتصميم الوسائل ، واختيار طرق ووسائل التدريس والتقويم وممارسة العمل التربوي عموما مع الناشئين في البيت والمدرسة والمجتمع .

طبيعة التربية :

إذا كانت التربية هي إيصال المربى إلى درجة الكمال التي هيأه ا لله لها ، عن طريق مراعاة فطرته ، وتنمية مواهبه وقدراته وطاقاته – بطريقة متدرجة وفق مراحل – وتوجيهها نحو الخير والحق والكمال فإن ذلك كله يتم وفق نظم وغايات العلم ، والفن والصناعة ، حسب مفهوم كل منها في منهج التربية الإسلامية .

---

[١١٠] عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع .دار الفكر العربي . بدون تاريخ . ص ١٢-١٤ .

[١١١] محمد متولي الشعراوي : منهج التربية في الإسلام . القاهرة . دار المسلم . بدون تاريخ . ص١١ . ١٢وانظر تعريف التربية أيضا : سعد بن عبد الله بن جنيدل : أصول التربية الإسلامية . الرياض . دار العلوم للطباعة والنشر . ١٩٨١ م ص ١١ - ١٤ .

[١١٢] عبد الرحمن الباني مرجع سابق . ص ٢٤ - ٢٥ .

يقول مدكور : فالتربية علم إخبار ، بحيث إنها إخبار عن الحقائق الكلية . والمعايير والقيم الإلهية الثابتة . التي يتلقاها الإنسان ، فيسلم بها ، ويتكيف معها ، وهي علم من حيث إنها معرفة بقوانين الله في الكون التي تم اكتشافها من قبل .

والتربية علم إنشاء من حيث إنها محاولة إلى الكشف عن الحقيقة ومعرفة للقوانين والسنة التي خلق الله الكون عليها ولم تكتشف بعد ؛ فالتربية هنا علم من علوم البحث ومناهج البحث التي تعين الإنسان على الاكتشاف والاختراع والإبداع .

ويدخل فيها " العلم " بالعلوم الإنسانية ، التي تكتسب فيها المعرفة عن طريق الملاحظة ، والتفكير والإلهام ، ويدخل فيها " العلم " بالعلوم الطبعية الذي هو الوصول إلى معرفة قانون الله بالملاحظة والتجربة والتطبيق . إذن فالعلم وسيلة من وسائل التربية وغاية لها ، ولكن من السفاهة المزرية جعل العلم أو العقل مصدرا للمعرفة . فالمصدر هو الله ، ومن الجهل القول بأن العلم قد انتصر على الطبيعة ، أو قهرها . فالعلم ما هو إلا الوصول إلى القانون الطبعي الذي طبع الله الكون عليه ، والطبيعة ما خلقت لتُقهر . خلقت لتكون في خدمة الإنسان ، والإنسان لايستطيع أن يقهرها ، ولكن يستطيع أن يتلطف معها ويتعرف على قوانينها التي أودعها الله فيها . وبذلك يستفيد من خيراتها ومكنوناتها [١١٣] .

والتربية فن ، وعندما نتكلم عن التربية كفن – كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الباني – : " فإننا لسنا بإزاء الإخبار عن واقع ، أو الكشف عن حقيقة ، ولسنا بإزاء تحقيق أهداف علمية لسد حاجتنا الأساسية . وإنما نحن أمام تحقق أهداف تتصل بتحسين الحياة وتجميلها كما يقول الإمام الشاطبي . فالفن تعبير عن القيم الإنسانية : أخلاقية كانت ، أو جمالية ، فهو ذو أثر يمتع أنفسنا ، ويغني حياتنا ويزيح عنا آثار البلادة والرتابة التي تصيبنا نتيجة اتصالنا الدائم بقبضة الطين التي هي جزء من طبيعتنا .

والتربية كفن، تهدف إلى الوصول بالمربى إلى درجة الإتقان ،أو الإحسان في الأداء ،فقيمة كل إنسان بما يحسن،والوصول بالإنسان إلى درجة أن يكون محسنا ،هو أعلى درجات الفن، وارقى ما يهدف إليه العمل التربوي[١١٤] .

والتربية صناعة ، فهي عملية ذات قواعد وأصول ، تسير وفق منهج لتحقيق أهداف معينة . والتربية – بهذا المعنى – مهنة ، أو صناعة ، تهدف إلى إقدار المتعلم على عمل معين . بحيث يتناوله بالتغيير والتعديل ، والتطوير والمعالجة ليصبح على شكل معين .

وبهذا المعنى تكلم ابن خلدون عن التعليم باعتباره صناعة ، أو مهنة ذات مهمة عملية ، لها أصولها وقواعدها المحكمة التي تتحقق بمراعاتها أهدافها [١١٥] .

---

[١١٣] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

[١١٤] عبد الرحمن الباني : مرجع سابق ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

[١١٥] انظر : مقدمة ابن خلدون،مرجع سابق،الباب السادس(فصل في أن التعليم للعمل من جملةالصنائع)ص ٤٣٠.

والتربية ثابتة ومتطورة : ثابتة فما يتصل بأهدافها العامة ، وثابتة أيضا فيما يتصل بمحتواها الخاص بالحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة ، ومتطورة فيما عدا ذلك . وتطورها إنما يكون وفقا للقواعد الثابتة في منهج الله ، وفي ذلك يقول مدكور : " وإذا كانت التربية ثابتة فيما يتصل بأهدافها العامة كبناء الإنسان العابد لله ، القادر على القيام بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله ، وإذا كانت ثابتة أيضا فيما يتصل بمحتواها الخاص بالحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة ، فإنها متطورة فيما بعد ذلك حيث إنها تعد الإنسان الذي يعمر الحياة ويرقيها في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفق ظروف الزمان وظروف المكان ، لكن ذلك كله إنما يكون وفقا للقواعد الثابتة في منهج الله، وفي إطارها ، وحول محورها .

١٩ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ التربية بمعناها الشامل وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم هذه الحقائق من خلال المحتوى المقرر .

العلم فطرة الله في الإنسان :

إن العلم يشرف ويتفاضل بحقيقة ما يتعلق به ، وأسمى العلوم هو ما تعلق بالله – سبحانه وتعالى – ولقد شاء الله الكريم عطاؤه ، العظيم مَنُّه ، على هذا الإنسان المخلوق لله أن يعطيه أول ما يعطيه ، وأن يمن عليه أول ما يمن ، بأعظم العلوم ، فعرفه به سبحانه ؛ عرفه به ربا خالقا قادرا إلهًا واحدًا. فما أعظم هذه النعمة ؛ نعمة العلم والمعرفة برب العالمين ، وما أعظمه من ٌ إقرار بالمعلوم ، وما أكرمها من شهادة يوقعها البشر أمام ربهم وما أكده من ميثاق : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ .

وشرف العلم هنا أن المعلوم به والمكتسب منه ، فرق المال والجاه . . .فوق الفوق لا فوق فرقه ، فالمعلوم به هو الله الإله الذي لا إله إلا هو ، ومن عرف الله كما تجب المعرفة فقد عرف كل شيء وأغناه علمه هذا عن كل شيء فهو علم بالتوحيد ، ولذا كان الداعي إلى هذا العلم هو الله ، والمدعو إليه هم بنو آدم كلهم ، والإجابة منهم جميعا : بأن الله رب العالمين ، فأودعها – سبحانه – فطرة في الجميع يولدون عليها لا استثناء ولا شذوذ . وفي ذلك يقول المولى سبحانه : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم قالوا : بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف : ١٧٢) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " (رواه الشيخان) .

ولذا فإننا لو تأملنا الآية الكريمة السابقة ، لوجدنا أنفسنا أمام مشهد كوني رائع باهر ، مشهد فريد لا تعرف اللغة له نظيرا في تصوراتها المأثورة ، إنه مشهد العلم بالألوهية ، والإيمان والإقرار بالوحدانية . " مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق ، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود ، تؤخذ في قبضة الخالق المربي ، فيسألها : ألست بربكم ؟ فتعترف له سبحانه بالربوبية ، وتقر له بالوحدانية ، وهي منثورة كالذر ،مجموعة في

قبضة الخالق العظيم "[١١٦].

ويقول مدكور : " إنني أرى أن هذه الآية الكريمة ترشدنا في صراحة ووضوح إلى ما يأتي :

أولا : أن العلم بالألوهية والوحدانية – وهو غاية كل علم – فطرة الله في الطبيعة الإنسانية ، والانحراف عن هذا العلم هو انحراف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولهذا يجب مقاومته بجميع الوسائل لرد الإنسان إلى الفطرة .

ثانيا : يترتب على " أولا " ، أن الأخذ بأسباب العلم فريضة لازمة لتأكيد الفطرة ، والحفاظ عليها ، والانحراف عنها يتبعه الانحراف عن الإيمان بوحدانية الله ، وما يترتب عليه من انحراف الإنسان عن وظيفته ألا وهي عمارة الأرض ، وترقيتها وفق منهج الله.

ثالثا : وبما أن العلم فطرة الله في الإنسان ، وهو سبيل الإنسان إلى معرفة الله وخشيته ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ وهو سبيله إلى عمارة الأرض وترقيتها ، فإن من الضروري إذن استمراره في عملية التعليم والتعلم ، إن حاجات الحياة متغيرة متجددة بتغير الحياة نفسها ، وهذا يستلزم – بطبيعة الحال – استمرار الإنسان في التعليم لينفض عن نفسه وعن مشاعره ما يكون قد علق بها من صدإ أو بلادة نتيجة الانغماس في الحياة تحت وطأة قبضة الطين ، ومطالبها .

إن ترقية الحياة وفق منهج الله عملية مستمرة دائمة . وهي بالتالي تتطلب معلومات ومهارات متجددة . . وهذا كله يتطلب التربية والتعليم والتدرب بصفة دائمة ومستمرة . إن الإنسان الذي يقوم بحق استخلاف الله في الأرض ، هو الذي يأخذ بكل الأسباب التي تساعده في أداء هذه الغاية أحسن أداء ، فالمسلم مطالب بحسن الأداء لا بمجرد الأداء ، وهذا يتطلب أن يكون الإنسان متطورا أو متجددا وملما بكل ما يستجد في ميدان عمله من معارف وخبرات ومهارات .

إذن فترقية الحياة وفق منهج الله تتطلب التربية المستمرة ، بل وحسن التربية[١١٧] .

٢٠ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن العلم بالله الواحد الأحد فطرة الله في الإنسان ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية التي تحيي فيهم هذه الفطرة ضمن المحتوى المقرر .

المعرفة وقيادة الحياة الإنسانية :

مقدمة : المعرفة الإنسانية في الإسلام كالعلم وسيلة ، وليست غاية في ذاتها ، فغاية المعرفة إقدار الإنسان على المساهمة ، بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله ، وتستند المعرفة الإنسانية في الإسلام – نظرية وعملية – إلى أصول ربانية ، لا إلى نظريات عقلية ، ولا إلى فلسفات وضعية من صنع البشر .

مما يمتاز به الإنسان : ولاشك أن الإنسان يمتاز على سائر المخلوقات بقدرته على اكتساب العلم والمعرفة عن

---

[١١٦] سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ص ١٣٦٢ .

[١١٧] علي أحمد مدكور ، منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

طريق الطاقات التي منحها الله له ، وهي " السمع والبصر والفؤاد " والتي يقول عنها المفكر الإسلامي الجليل الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله: " إن هذه الكلمات لم ينزل بها الوحي في كتاب الله لتعني فقط مجرد القدرة على الرؤية والسمع والتفكير ، ذلك لأن " السمع " معناه : إحراز المعرفة التي اكتسبها الاخرون ، و" البصر " معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث ، و" الفؤاد " معناه تنقيتها من أدرانها وأوشابها ثم استخلاص النتائج منها ، وهذه " القوى " الثلاث إذا ما تضافرت بعضها على بعض ، نجمت عنها تلك " المعرفة " التي منَّ الله – سبحانه – بها على بني آدم ، هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يستخدم سائر المخلوقات ، ويسخرها لإرادته [١١٨] .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل : ٧٨) ، فهذه النعم الثلاث لها من جليل الأمر وعظيم الأثر في حياة الإنسان ما يجعله يجدد الشكر آناء الليل وأطراف النهار على الله عنه يرضى ، ويوحي بذلك التعبير بالفعل المضارع الذى يفيد التجدد والحدوث ، وهذه النعم الثلاث بها تجدد المعرفة للإنسان : السمع الذي يلتقط خبرة الآخرين ، والبصر الذي يتفحصها وينميها ، والفؤاد الذي ينقيها ، ونظرا لجلال هذه النعم وعظم آثارها قال فيها المولى سبحانه وتعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ . وحقا إن هذا العطاء الجليل يجب ان يستغل فيما يفيد به الإنسان في قيادة البشرية كلها ، فإذا صرفه الإنسان في غير ما جعل له ، حق للمولى سبحانه أن يسأله عنه ﴿ كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ .

يقول المودودي : " ولو أردت التعمق في تأمل هذه الحقيقة لاهتديت في النهاية إلى أن هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه " القوى" أو يستخدمونها في حدود ضيقة ، هم الذين كتب عليهم العيش في حالة من التأخر والانحطاط تحت كنف الآخرين وسلطانهم ، أما الذين يوظفون هذه " القوى " ويستخدمون كل إمكاناتهم ، فهم على العكس يظفرون بالسيادة والسيطرة ، وهم الذين يصبح لهم قيادة الشعوب وتوجيهها [١١٩] .

ونحن كأمة مسلمة – خير أمة أخرجت للناس – لا يجب أن نعمل على استرداد الزعامة من أجل الزعامة في حد ذاتها ، ولا من أجل خلع الآخرين من مواقع القيادة البشرية كهدف في ذاته . بل كوسيلة لإقرار منهج الله في الأرض ، والأخذ بيد سائر الأمم نحو هذا الهدف الأعظم ، فالأمر المؤكد هو أننا لن نحقق هذا الأمل المعقود علينا إذا لم نظفر بمكان القيادة من القافلة الإنسانية [١٢٠] .

متطلبات عمارة الأرض :

---

[١١٨] أبو الأعلى المودودي : المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم . جمعه وقدم له . وعلق عليه محمود مهدي .الاستانبولي . ط ٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص٨ .

[١١٩] المرجع السابق ص ٨ - ٩ .

[١٢٠] المرجع السابق ص ١٣ - ١٤ .

يقول مدكور[١٢١] : " إن قيام الإنسان بعمارة الارض وترقيتها وفق منهج ا لله يتطلب من الإنسان القيام بالأعمال التالية بالترتيب :

أولا : تطبيق منهج ا لله في الحياة ، والمتمثل في " شهادة أن لا إله إلا ا لله، وأن محمدا رسول ا لله " " إن العبودية المطلقة لله وحده – وهي الشطر الأول لركن الإسلام – هي المدلول المطابق لشهادة أن لا إله إلا ا لله ، والتلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم هو الشطر الثاني لهذا الركن ، وهو المدلول المطابق لشهادة أن محمدا رسول ا لله " [١٢٢] .

ثانيا : إن تطبيق منهج ا لله في الحياة المتمثل في شهادة أن لا إله إلا ا لله وأن محمدا رسول ا لله ، يدفع الإنسان إلى أن يستخدم كل قواه وطاقته في العلم والمعرفة .

ثالثا : ما سبق يدفع الإنسان إلى استخدام كل قرى العلم والمعرفة في استغلال طاقات الأرض ومدخراتها وخيراتها من أجل خير الإنسان والإنسانية جميعا .

رابعا : إن كل ما سبق يدفع بالمسلمين لمرقع القيادة من القافلة الإنسانية .

خامسا : إن استرداد المسلمين إلى موقع القيادة يمكنهم – كما فعلوا سابقا – من نشر منهج الإسلام ، وحضارة الإسلام ، وثقافة المسلمين ، بما فيها من حقائق ومعايير وقيم ومثل باقية خالدة ، وما فيها من طرق وأساليب راقية " .

إذن فغاية المعرفة في الإسلام تطبيق منهج ا لله ، قال تعالى : ﴿ واتقوا ا لله ويعلمكم ا لله ﴾ (البقرة : ٢٨٢) . والتقوى هي أساس المعرفة .

ومن هنا فإن المعرفة التي يهدف منهج التربية للوصول إليها هي المعرفة التي تؤدي إلى تغير في السلوك الإنساني ، وفي واقع الحياة الإنسانية ، أما المعرفة التي لا تحقق ذلك فإنها لا تمحو الجاهلية ولا تنجي أصحابها من عذاب ا لله ، وهذا ما سجله القرآن على مشركي العرب ، قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا لله ﴾ (لقمان : ٢٥) ، ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل أفلا تذكّرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله . قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل فأنّى تسحرون ؟ ﴾ (المؤمنون : ٨٤ – ٨٩) .

لا فائدة من المعرفة السطحية : فالمعرفة الذهنية السطحية لا فائدة منها ترجى ؛ لأنها لم تحقق المرجو منها سلوكا وعقيدة ولذا يقول الأستاذ محمد قطب : " . . فما دلالة ذلك على وجه التحديد ؟ دلالته أن المعرفة " الذهنية " ليست هي المعرفة التي يريدها أو يعترف بها الإسلام ؛ فإنها معرفة سطحية وميّتة ، لا تفعل شيئا في واقع الحياة ، ولا تؤثر شيئا في سلوك الإنسان ، وإذن فوجودها كعدم وجودها سواء ، بل ينبغي أن تنتزع البذرة الفاسدة كلها بما بقي

---

[١٢١] انظر : علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ٢٩٥ – ٢٩٦ .

[١٢٢] سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

فيها من أجزاء سليمة ، وتستنبت البذرة السرية كلها من جديد " [١٢٣] .

المعرفة التي يقرها الإسلام : فالمعرفة التي يعتد بها الإسلام هي التي تقوم على أساس الإيمان با لله وتقواه ، ويتغير بها سلوك الإنسان إلى ما يزيده إيمانا وتقى ، ولا سبيل إلى هذه المعرفة إلا بقراءة القرآن وتدبره والعمل بما فيه عقيدة وقولا وعملا ، قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ (ص ٢٩) . وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ ﴾ (محمد : ٢٤) فقراءة القرآن وتدبر آياته للعمل الصالح والاعتقاد الصحيح هو المصدر الأول للمعرفة الإسلامية .

٢١ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الغاية من المعرفة هي تطبيق منهج ا لله ، وضرورة أن تقدم لهم النصوص القرآنية التي تؤكد لديهم هذا المفهوم ضمن المحتوى المقرر .

الفنون والآداب :

مقدمة : إن التصور الإسلامي الصحيح للكون والإنسان والحياة ولطبيعة العلاقات والارتباطات بينهما يوحي للإنسان بما في هذا الكون مما يحويه من جمال يتمثل في بديع صنعه ، يمد الإنسان حينما يريد التعبير عنه بالأسلوب الأدبي الرفيع الذي يتناسب مع النسق البديع لهذا الكون ، يقول مدكور : " إن الأدب هو تعبير فني جميل عن المعاني والأفكار والأشياء والأحداث نابع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، ولطبيعة العلاقات والارتباطات بينها " [١٢٤] .

والأدب كما يقول الأستاذ سيد قطب : " هو التفسير الشعوري للحياة . وهو منبعث من المنبع الذي تصب فيه جميع الفلسفات والديانات والتجارب والمؤثرات في بيئة من البيئات . ولقد يكون الأدب أشد المؤثرات في تكوين فكرة وجدانية عن الحياة ، وفي طبع النفس البشرية بطابع خاص ، ومن هنا يجب أن يكون لنا أدب نابع من التصور الإسلامي " [١٢٥] ، ويقول : " الأدب – كسائر الفنون – تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان . هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن عصر إلى عصر ، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة ، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون ، وبين بعض الإنسان وبعض " [١٢٦] .

ومن العبث محاولة تجريد الأدب أو الفنون عامة من القيم التي تحاول الذود عنها ، كذلك من العبث محاولة فصل تلك القيم عن التصور الكلي للوجود والحياة . ولو أفلحنا في هذا الفصل – وهذا مستحيل – فلن نجد سوى عبارات خاوية أو جوفاء ، أو أصوات غفل ، أو أشكال بلا معنى . .

علاقة الفن والأدب بالتصور الإسلامي :

---

[١٢٣] محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ج٢ ، ط٦ ، ١٩٨٨م دار الشروق ، القاهرة ، ١٦ش جواد حسني ص٢٧ .

[١٢٤] علي أحمد مدكور : تدريس فنون اللغة العربية ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤م : ص ٥٣ .

[١٢٥] سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ص ٢٠٥ .

[١٢٦] المرجع السابق .

الإسلام تصور معين للحياة تنبثق منه قيم خاصة له . فمن الطبعي إذن : أن يكون التعبير عن هذه القيم ، أو عن وقعها في نفس الفنان ، ذا لون خاص [١٢٧] .

وأهم خاصية للإسلام أنه عقيدة ضخمة جادة فعالة . . . تملأ فراغ النفس والحياة ، وتستنفد الطاقة البشرية في الشعور والعمل ، وفي الوجدان والحركة ، فلا تبقى فيها فراغا للقلق والحيرة ولا للتأمل الضائع الذي لا ينشئ سوى الصور والتأملات .

وأبرز ما فيه هو الواقعية العملية حتى في مجال التأملات والأشواق ، فكل تأمل هو إدراك أو محاولة لإدراك طبيعة العلاقات الكونية أو الإنسانية وتوكيد الصلة بين الخالق والمخلوق ، أو بين مفردات هذا الوجود ، وكل شوق هو دفعة لإنشاء هدف ، أو لتحقيق هدف ، مهما علا واستطال .

وقد جاء الإسلام لتطوير الحياة وترقيتها لا للرضا بواقعها في زمان ما أو مكان ما ، ولا بمجرد تسجيل ما فيها من دوافع وكوابح ، ومن نزعات وقيود ، سواء في فترة خاصة أو في المدى الطويل .

ومهمة الإسلام دائما أن يدفع بالحياة إلى التجدد والنمو والترقي . وأن يدفع بالطاقات البشرية إلى الإنشاء والانطلاق والارتفاع .

ومن ثم فالأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي للحياة ، قد لا يحفل كثيرا بتصوير لحظات الضعف البشري ، ولا يتوسع في عرضها ، وبطبيعة الحال لا يحاول أن يبرزها فضلا عن أن يزينها بحجة ان هذا الضعف واقع فلا ضرورة لإنكاره أو إخفائه .

إن الإسلام لا ينكر أن في البشرية ضعفاً ، ولكن يدرك – كذلك – أن في البشرية قوة ، ويدرك أن مهمته هي تغليب القوة على الضعف ، ومحاولة رفع البشرية وتطويرها وترقيتها ، لا تبرير ضعفها أو تزيينه .

والنظرة الإسلامية لا تؤمن بسلبية الإنسان في هذه الأرض ، ولا بضآلة الدور الذي يؤديه في تجديد الحياة وترقيتها ، ومن ثم فالأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي لا يهتف للكائن البشري بضعفه ونقصه وهبوطه ، ولا يملأ فراغ مشاعره وحياته بأطياف اللذائذ الحسية ، أو بالتشهي الذي لايحقق إلا القلق والحيرة والحسد والسلب إنما يهتف لهذا الكائن بأشواق الاستعلاء والطلاقة ، ويملأ فراغ حياته ومشاعره بالأهداف البشرية التي تجدد الحياة وترقيها ، سواء في ضمير الفرد ، أو في واقع الجماعة .

وكذلك ليست وظيفة هذا الأدب تزوير الشخصية الإنسانية أو الواقع الحيوي . وإبراز الحياة البشرية في صورة مثالية لا وجود لها ، هو الصدق في تصويرالمقدرات الكامنة أو الظاهرة في الإنسان ، والصدق كذلك في تصوير أهداف الحياة اللائقة بعالم البشر ، لا بقطيع من الذئاب . الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه باتجاه أن الإسلام حركةَ تجديد وترقية مستمرة للحياة ، فهو لا يرضى بالواقع في لحظة أو جيل . ولا يبرره أو يزينه بمجرد أنه واقع فمهمته الرئيسة تطهير هذا الواقع وتحسينه . والإيحاء الدائم بالحركة المجددة لصور من الحياة .

---

[١٢٧] انظر المرجع السابق . ص ٢٠٦ – ٢٠٨ .

إنه لمن الأهمية بمكان أن نقرر هنا أن الأدب أو الفن الإسلامي أدب أو فنّ موجه . موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها ، وموجه بطبيعة المنهج الإسلامي ذاته . وهي طبيعة حركة دافعة للإنشاء والإبداع ، وللترقي والارتفاع ، ولست أعني التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ ، أعني أن تكيف النفس البشرية للتصور الإسلامي للحياة ، هو وحده سيلهمها صورا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أو أي تصور آخر ، لأن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرا عن النفس كتعبيرها بالسلوك في واقع الحياة ، وأخيرا فإن الإسلام لا يحارب الفنون ذاتها ؛ ولكنه يعارض بعض التطورات والقيم المنحرفة التي تعبر عنها هذه الفنون ، ويقيم مكانه في عالم النفس تصورات وقيماً أخرى قادرة على الايحاء بحركات جمالية إبداعية ، وعلى إبداع صور فنية أكثر جمالا تنبثق انبثاقاً ذاتياً من طبيعة التصور الإسلامي وتكيف بخصائصه .

٢٢ – لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الإسلام يدعو أبناءه إلى البراعة في الفنون والآداب – في ضوء التصور الإسلامي للحياة – ، وضرورة أن يتضمن المختوى ما يوضح ذلك .

الإعلام والإعلان :

الإعلام والإعلان من وسائل الثقافة والمعرفة :

فالإعلام والإعلان من وسائل الثقافة والمعرفة ، وعلى ذلك يجب أن يؤديَ كل منهما الغرضَ المقصود منه بأسلوب يتناسب مع الأخلاق الإسلامية في الوسائل التي يستعان بها في تحقيق غرضها من : الكلمة الطيبة عملا بقول الله سبحانه : ﴿ ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ (إبراهيم : ٢٤) ، ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾ (إبراهيم : ٢٥) ، وقوله سبحانه : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ﴾ (إبراهيم : ٢٦) ، وقوله سبحانه : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ (البقرة : ٨٣) ، والصورة التي لا حرمة فيها ، فعلى القائمين على هذين الأمرين ألا يستخدموا ما حرمه الله ورسوله من مثل الصور التي لاتسمح الأخلاق الإسلامية بظهورها ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"كل مصور في النار،يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم،قال ابن عباس: فإن كنت لابد فاعلا، فاصنع الشجر وما لاروح فيه" متفق عليه [١٢٨].

موقف الإسلام من الإعلان والإعلام :

يجب أن يكون في الإعلام والإعلان الأمانة والصدق والإخلاص والنصح والإرشاد . . . والعمل على تثبيت الأخلاق الإسلامية ، ومحاربة الأخلاق الفاسدة ، ولا يستهين أحد بالكلمة ولا بالصحيفة . . التي تدخل كل بيت ، وتؤثر في كل شخص ، وخاصة الشباب الذين يستمعون بتلهف إلى كل جديد وغريب مما يحمله إليهم الأثير من الداخل ومن الخارج ، فعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها

---

[١٢٨] الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ط ٦ ، ١٩٨٦م ، ص٦٣٢ .

رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ماكان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه " [١٢٩] .

٢٣ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ ما يجوز أن يتحقق به الإعلام والإعلان في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح ذلك .

طبيعة المجتمع المصري

مقدمة :

منهج كل مجتمع مرآة تعكس تفكير هذا المجتمع ومشاعره ومعتقداته وأعماله ؛ ولذا يرى علماء التربية " أهمية ربط التعليم بمتطلبات المجتمع وحاجاته ، الأمر الذي يستدعي دراسة مستفيضة لمتطلبات المجتمع وظروفه "[١٣٠] ، وعلى ذلك سوف يعرض الباحث لخصائص المجتمع المصري ومتطلباته وما يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تحقق هذه المتطلبات .

أهم خصائص المجتمع المصري :

١ – التدين :

ظهر الدين كظاهرة اجتماعية في الشعب المصري منذ أقدم العصور ولقد ظهر أول الأمر في مصر القديمة سنة ٣٠٠٠ ق .م عندما وصلت إلى درجة معقولة من التقدم الحضاري ، ثم ظهر بعد ذلك في بلاد فارس . ولم يبدأ التفكير الديني في الظهور في الشرق الأقصى قبل سنة ٦٠٠ ق .م [١٣١] . وظلت مصر منذ هذا الأمد البعيد إلى عصرنا هذا تعتز بديانتها وفي ذلك يقول هيرودوت " إن المصريين من أشد البشر تدينا ولا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه [١٣٢] " .

٢ – يتميز المجتمع المصري بتجانسه القائم بين كل أبنائه على اختلاف بيئاتهم وديانـاتهم ، "وبهذا كانت مصر أول أمة بالمعنى القومي الصحيح ، وأول دولة بالمعنى السياسي الكامل وأطول دولة حافظت على وحدتها القومية عبر التاريخ " [١٣٣] ، وللعقيدة الأثر الفعال في تحقيق الوحدة والتجانس" فالمعتقدات هي وحدها القادرة على خلق وحدة الشعور والتفكير الضروريين لاستقرار الجماعات" [١٣٤] .

٣ – الاستمرار الحضاري : موقع مصر متميز ، ووحدة أبنائها قائمة دائماً ، بهذين الأمرين وغيرهما مما حباها

---

[١٢٩] المرجع السابق : ص ٥٧٠ .

[١٣٠] يوسف خليل يوسف : القومية العربية ودورالتربية في تحقيقها (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ص٢٢٧ .

[١٣١] سعد مرسي أحمد ، سعيد إسماعيل على ، تاريخ التربية والتعليم (عالم الكتب ١٩٧٢) ص ٥٣ ، ٧٥ .

[١٣٢] محمد أبوزهرة : محاضرات في مقارنة الأديان (مطبعة يوسف- بدون تاريخ) ص ٥ .

[١٣٣] جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان(مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠) ، ص ١٧ .

[١٣٤] هوستاف لوبون ،الآراء والمعتقدات ترجمة على زعيتر (القاهرة ،المطبعة العصرية ،بدون تاريخ) ص١٥٧ .

الله به كانت " أسبق على طريق الحضارة من الهند وفارس والصين . . [١٣٥] " وأصبحت مصر مبعث الحضارات في العالم " فمن تراب هذا الوطن ونبته خرجت ثورة حضارية كانت لها في زمنها أصداء بعيدة المدى . . وظلت رسالته الحضارية حلقة متصلة الأبعاد يلتقي على أرضها الحاضر بالماضي والحديث بالقديم ، وهو في حاضره لايقف عند اجترار ذكريات الماضي بل يسعى لاستيعاب حضارة العصر " [١٣٦] . ولما دخل الإسلام مصر خلق منها مزيجا جديدا صقله بالينبوع العربي ، وهذبه بالروح الإسلامي ومازال يتعهده بعنايته ، ويغذيه باختياره حتى ألف منها حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية [١٣٧] " .

مبادئ المجتمع المصري وأهدافه وعلاقتهما بمناهج التربية الدينية الإسلامية :

أولا : الميدان الداخلي :

١- المجال السياسي

تعتبر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بداية مرحلة جديدة في تاريخ مصر المعاصر ؛لأنها عملت على التغيير الجذري للمجتمع الذي كان موجودا قبلها ، إلا أن بعض عناصر القيادة في الدولة انحرف عن مجرى الثورة الشعبية ، كما أدى تركيز السلطة في أيدى أفراد قلائل يحتلون مراكز قيادة الثورة إلى سلبية الجماهير ؛ لأنها اطمأنت إلى أن هناك من يفكر ويخطط لها ، وأدى هذا أيضا إلى :" بيروقراطية " ضارة تسربت إلى أجهزة الدولة مما حولها إلى أجهزة فوق المجتمع ، منعزلة عنه " [١٣٨] ، ثم تبنت القيادة الساسية بعد حرب ١٩٧٣م تجربة ديمقراطية أخرى من أهم ملامحها :

- سيادة القانون .
- توفير ديمقراطية واسعة لمجلس الشعب .
- حماية الجبهة الداخلية .
- إنشاء مجلس الشورى نوفمبر (١٩٨٠) ومن أهم اختصاصاته : إبداء الرأى في أمور الوحدة الوطنية . وأساليب الحفاظ على مكاسب الاشتراكية ، ودراسة القوانين المكملة للدستور ، وغير ذلك من الموضوعات التي تحال إليه مما يؤكد مظاهر الديمقراطية [١٣٩] .

- تعدد الأحزاب السياسية ، إيمانا بأن " الأحزاب وسيلة لتجميع المواطنين الذين يؤمنون بفكر معين ، وأداة لتربية القيادات الشعبية [١٤٠] ، كما أبان " رئيس الجمهورية " العلاقة التي يجب أن تقوم بين هذه الأحزاب بقوله : "

---

[١٣٥] عبد الغني عبود : الله والإنسان المعاصر(دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م) . ص ٥٠ .

[١٣٦] جمال حمدان : مرجع سابق ص ٤٧ .

[١٣٧] عبد السلام بدوي: التطورات السياسية والاقتصادية في العالم الغربي- القاهرة. مطابع دار الكتاب العربي. ١٩٥٩م .ص٧٦.

[١٣٨] محمد الهادى عفيفى ،وآخران ، التربية ومشكلات المجتمع ، ط٢(مكتبة الأنجلوالمصرية ،١٩٧٣)ص٦٢ .

[١٣٩] انظر ،برنس أحمد رضوان ،سماح رافع محمد"نظام الحكم في جمهورية مصر العربية" .التربية الوطنية . مراجعة عبد الحميد كمال حشيش(جمهورية مصر العربية وزارة التربية والتعليم)١٤١٢-١٩٨٢م ص١٢٦-١٢٧.

[١٤٠] عفاف سعد حماد: "تقويم برنامج المواد التخصصية لشعبة الفلسفة والاجتماع بكليات التربية في جمهورية مصر العربية (رسالة دكتوراه ،غير منشورة) كلية التربية جامعة طنطا ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

يجب أن نتفق على أن الهدف القومي هو الهدف الأعلى والأسمى . وأننا إذا اختلفنا في سبيل تحقيق هذا الهدف فهو اختلاف لا خلاف ، وهو تبادل للرأى لا تبادل للاتهامات . .

وفي النهاية فإن على الأقلية أن تحترم أي الأغلبية . كما أن على الأغلبية ألا تتجاهل رأي الأقلية [١٤١] . وتحقيق هذه المبادئ لايتم في ظل "حكم الفرد المطلق ، ولايستقر بحكم الصفوة المميزة ، بل إنها تولد وتنمو وتترعرع في ظل المشاركة الجماعية [١٤٢] .

وإذا كانت الديمقراطية نظامَ حكم فالمقصود الحقيقي منها أن تنشر أسلوبا خاصا في التعامل والتفكير والحياة ، مما يتطلب " أنماطا خاصة من السلوك والعادات والمهارات هي ميدان التربية ، ولذا يجب أن يكون من أهداف التربية في مجتمعنا مساعدة المواطنين على مستوى ممارسة العلاقات اليموقراطية ، حتى يمكنهم تنظيم حياتهم عن طريق أنظمة ديمقراطية سليمة "[١٤٣] .

وتتمثل علاقة التربية الدينية الإسلامية بالمجال السياسي في النقاط الآتية :-

أ – تقرر التربية الدينية الإسلامية [١٤٤] أن منبع الدستور والقانون – التشريع للأمة الإسلامية – هو " القرآن والسنة " ، ولايجوز أن يكون للمسلمين قانون يخالف شرع الله . صحيح أن نصوص الكتاب والسنة قد يختلف في فهمها المجتهدون ، إلا أن من قواعد التشريع الإسلامي أن خليفة المسلمين بالتعاون مع مجلس شوراه يحق له أن يرجح فهما اجتهاديا على بقية الفهوم ، ويكون لهذا الترجيح قوة القانون وبذلك يكون للأمة الإسلامية تشريع واحد دستوري وقانوني "[١٤٥] ، والأمل مرجى في سرعة تطبيق الشريعة الإسلامية على كافة مجالات الحياة بناء على " إعداد تقنية الشريعة الإسلامية ، ومراجعة قوانينها بالأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية "[١٤٦] .

ب– تدعم التربية الدينية الإسلامية " مجال التقويم للجماعة " فترسم للأفراد في إطار تفاعلهم السياسي – وسائل النقد البناء ، بهدف الوصول إلى قرارات أفضل ابتداء بالحكمة ،وانتهاء بالتي هي أحسن . قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل : ١٢٥) ، وانطلاقا من أمانة الكلمة ، كما قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ (الأحزاب : ٧٠) .واعتبار التواصي

---

[١٤١] خطاب رئيس الجمهورية أمام مجلس الشعب والشورى ، جريدة مايو(العدد الأربعون ١٢محرم١٤٠٢ ، ٩ نوفمبر سنة١٩٨١ ، ص ٣ .

[١٤٢] محمد حسنى مبارك : خطاب رئيس الجمهورية ،جريدة الأخبار ،العدد ٩٦٤٨ بتاريخ ١٥مايو١٩٨٣ ،ص٣ .

[١٤٣] يوسف خليل يوسف ، محمد سليمان شعلان ،أيديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية والتعليم (القاهرة ، مكتبة غريب ،١٩٧١) ، ص ٦٠ .

[١٤٤] انظر في هذا :عبد المجيد سليمان حمروش ، مرجع سابق ،ص٦٨ ومابعدها .

[١٤٥] سعيد حوى ،الإسلام ، (مكتبة وهبة- ١٣٩٧-١٩٧٧ م) ، ص ١١١ .

[١٤٦] محمد متولي الشعراوي : مشروعات تقنية الشريعة الإسلامية تحت الطبع (اللواء الإسلامي "السنة الثانية ، العدد – ٦٢ (جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ٣١مارس ١٩٨٣م) "ص١٦ .

بالحق والصبر مهمة اجتماعية ، تكفل مراقبة الأفراد والمؤسسات ، وحماية الدولة من الخسران يأخذ منها كل فرد بالقدر الذي يناسبه ، وعلى الوجه الذي يمكنه ، كماقال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسرإلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (سورة : العصر) .

جـ- تزود النشء بعاقبة أمر المجتمع إذا انحرف عن هدي ا لله ورسوله كما قال صلى ا لله عليه وسلم : " مثل القائم على حدود ا لله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ مَن فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا [١٤٧] .

د- تزود النشء بقيم الشورى ، والعدل ، والمساواة " وهي أهم ما دعا إليه الإسلام [١٤٨] " .

هـ- تحرص التربية الدينية الإسلامية على حماية الوحدة الوطنية بما تُقرّر مصادرها من " أن الذميين والمعاهدين لهم ماللمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وأن الدولة تقاتل عنهم كما تقاتل عن جميع رعاياها [١٤٩] " .

وبهذا وبغيره الكثير نرى ما لمنهج التربية الدينية الإسلامية من دور يجب أن يقوم به في إعداد الفرد المسلم للحياة السياسية التي تعتمد على الشورى المعتمدة بدورها على الحرية ، والمساواة ، والعدالة ، والسيادة لأحكام ا لله.

٢- المجال الاقتصادي والاجتماعي :

وسيتناول الباحث في هذا المجال بصورة عامة وموجزة :

أ- السياسة الاقتصادية . ب- السياسة التعليمية . جـ- السياسة السكانية .

أ- السياسة الاقتصادية :

ويتدرج تحت هذه السياسة قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة ،إذ هي الدعامات القومية للاقتصاد المصري .

القطاع الزراعي :

قامت الدولة باستصلاح مئات الألوف من الأفدنة ، وتحويلها من أراض رملية جرداء إلى أراض زراعية خضراء ، كما حاولت الانتفاع بأقصى إنتاجية للأرض المزروعة ، ودراسة اقتصاديات المحاصيل ، واستنباط أنواع جديدة منها .

ولكن ذلك التقدم اعترضته معوقات حدت من استخدام الأساليب التكنولوجية ، التي هي سبيل الإنسان المعاصر إلى تطوير جميع جوانب حياته ، ومنها : -

- عدم الارتباط بين أجهزة البحث العلمي وجهات التطبيق .
- عدم توفير الميزانيات اللازمة لإجراء البحوث والتطوير .

---

[١٤٧] أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي ، ص ١٠٥.

[١٤٨] محمد محمود الصياد وآخرون :المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ، تقديم وإعداد حسن الساعات (بيروت دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣) ص ١٥٨ .

[١٤٩] عباس محمود العقاد ، الديمقراطية في الإسلام ، ط٥،(دار المعارف بمصر ١٩٧٩)، ص ١٢٠-١٢١.

- نقص العمالة المدربة .

- عدم تطور التعليم الفني .

- القصور في تجميع الزراعات لإمكان استخدام الميكنة ولكن المسئولين في سعي دائب لنقل التكنولوجيا المختلفة لهذا القطاع[١٥٠] .

القطاع الصناعي :

بالصناعة يكون الغلب لشعب دون آخر ، ولدولة دون أخرى في شتى ميادين الحياة . ولذا اهتمت مصر بها وأنشأت وزارة الصناعة في يوليو ١٩٥٦م ، وتم وضع قانون تنظيم الصناعة وتشجيعها ليكون دستورا للصناعة[١٥١] .

ومن المعوقات التي تواجه التنمية الاقتصادية ما يلي :-

" أن الهياكل الإنتاجية والاقتصادية ، وأجهزة الخدمات والبحث العلمي والتطوير لم تعمل في ترابط وتكامل . .

- أن نسبة الزيادة في الأجور أعلى من نسبة الزيادة في الإنتاج .

- أن نسبة الصادرات إلى الواردات أقل من المعدل المستهدف .

- أن المعوقات التي تشير إليها تقارير القطاعات الصناعية- في مجملها- تتخلص في نقص مستلزمات الإنتاج والعمالة الماهرة ، والتمويل . ."[١٥٢] .

القطاع التجاري :

يعد هذا القطاع خير ضمان لسلامة هيكل الإنتاج الداخلي وتستهدف الجهود المبذولة التوسع في التجارة الخارجية بالإضافة إلى تنظيم التجارة الداخلية للقضاء على الاستغلال وتوفير احتياجات الشعب من جميع السلع بأسعار معتدلة ، إلا أن مصر تعاني من المشكلات التي تتعلق بالنواحي التجارية التي تتمثل في عدم الاستفادة من موقعنا الجغرافي ، وعدم تطوير المشروعات السياحية التي تعتبر عنصرا أساسيا في الدخل القومي ، وعدم تنويع صادراتنا . . ."[١٥٣] .

سياسة التنمية الاقتصادية :

تستهدف التنمية الاقتصادية إقامة جهاز إنتاجي متقدم يكفل استثمار الموارد الطبيعية والبشرية بغرض رفع الإنتاج الذي يحقق رفع الدخل القومي ومن ثم رفع نصيب الفرد منه .

ويتحقق ذلك عن طريق :

---

[١٥٠] المجلس القومى للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا - شعبة البحث العلمي والتكنولوجيا ، نقل التكنولوجيا في مجال الإنتاج الزراعي (القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٢) ص٢ .

[١٥١] جمهورية مصر العربية ، مصلحة الاستعلامات ، الثورة في ٨ سنوات (القاهرة يوليو ١٩٦٠) ص١٨٧.

[١٥٢] القاهرة : جمهورية مصر العربية ، المجلس القومى للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا . تقويم تجربة مصر في نقل التكنولوجيا في مجال التنمية الصناعية (١٩٨١) ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

[١٥٣] جريدة الأهرام ، (العدد ٣٥٢٦٣ بتاريخ ١٣/ ٧ / ١٩٨٢) ، ص ٦ .

– الانفتاح الاقتصادي : الذى يتيح فرصة الاستثمارات المحلية والخارجية للإسهام في المشروعات المختلفة في مصر بتشجيع القطاع التعاوني المتمثل في شتى المشروعات التي تكون ملكيتها تعاونية بين مجموعة من الأفراد ، كما يفسح المجال للقطاع الخاص ليساهم بمدخراته في التنمية . فضلا عن تشجيع رأس المال العربي والأجنبي للاستفادة من فائض الأموال العربية ، وتطور التكنولوجيا في الدول المتقدمة .

– التخطيط القومي : ويقصد به " أن يسير نشاط الجماعة تبعا لخطة أو خطط تهدف إلى النهوض بها اقتصاديا واجتماعيا خلال مدة معينة . "[١٥٤] ، وقد مر التخطيط الاقتصادي في مصر منذ عام ١٩٥٢م بمرحلتين : الأولى : مرحلة التخطيط الجزئي (١٩٥٢–١٩٦٠) بحيث تخص كل خطة جزئية قطاعا معينا ، والثانية : مرحلة التخطيط الشامل (١٩٦٠ حتى الآن) حيث لجأت الدولة إلى وضع خطط شاملة ، ومن أمثلتها : الخطة الخمسية الأولى (١٩٦٠–١٩٦٥) ، الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٥–١٩٧٠) الخطة العشرية (١٩٧١–١٩٨٠) ، [١٥٥] . .

ب – السياسة التعليمية :

أخذت السياسة التعليمية بالتوسع في جميع مراحل التعليم في مصر منذ (١٩٥٢) إيمانا منها بأن الدول تقاس بمدى تقدمها العلمي واستخداماتها للتكنولوجيا في عصر تتضاعف فيه المعرفة في زمن يسير . وعلى الرغم من هذا التوسع الكمي الهائل والتشريعات التي تتناول مراحل التعليم بالتعديل والتطوير لتحسين نوعية التعليم فإن هناك بعض المشكلات منها :

– التوسع الكمي على حساب النوع .

– ارتفاع نسبة الفاقد من التعليم .

مشكلة الأمية " الأمية الأبجدية بمعنى الجهل بمهارتي الكتابة والقراءة "[١٥٦]. تعليم الكبار " محو الأمية الحضارية "[١٥٧]. وتشير الإحصاءات أن نسبة الأمية في مصر"حسب تقديرات ١٩٧٦م تبلغ ٦٥,٥ ٪ بين الأفراد من سن ١٠سنوات فأكثر، وهي بين الإناث بالذات ترتفع إلى نحو ٧٠ ٪ [١٥٨] .

ويرجع الاهتمام بهذه المشكلة إلى عوامل منها : " تغير المجتمع الإنساني من الاعتماد على قلة من الأفراد تفكر وتحكم وتدبر إلى كثرة تشارك في التفكير والحكم والتدبر واتخاذ القرارات " . وتغير الاقتصاد من الاعتماد على الزراعة التقليدية إلى الأسلوب الحديث المتطور ، بالإضافة إلى تعقد الحياة الاجتماعية ، فالفرد أصبح عضوا في جماعة كبيرة يشارك في المحافظة عليها ، وتوجيهها وإدارتها ، بما يتناسب مع التطور السريع وتفجر المعرفة البشرية كما ونوعا .

---

[١٥٤] عائشة راتب ، رفعت المحجوب : الدولة العصرية ." التربية الوطنية للصف الثاني الثانوي وما في مستواه ، تعديل سماح رافع محمد ج م ع ، وزارة التربية و التعليم ، ١٩٨٢-١٩٨٣ ، ص ٤٢ .

[١٥٥] عبد المجيد سليمان حمروش ، مرجع سابق ، ص ٧٣– ٧٤ .

[١٥٦] عبد الحميد سلام : المدخل في العلوم التربوية (كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٩٨٠م) ص١٨٦ .

[١٥٧] محيى الدين صابر: دراسات حول قضايا التنمية وتعليم الكبار –القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٥،ص ٣٣.

[١٥٨] سهام محمود العراقي : محاضرات في التربية ومشكلات المجتمع (مكتبة أورفو بكفر الشيخ ١٩٨٠-١٩٨١) ، ص٤٥ .

ومثل هذه التغيرات في السياسة والاقتصاد والاجتماع والمعرفة تتطلب " في الإنسان ليس فقط مجرد معرفة القراءة والكتابة . . إنها تتطلب عقلية واعية متطورة متنورة متجددة قادرة على مواصلة الحياة بصورة كافية ومرضية " [١٥٩] والجهود مبذولة للقضاء على الأمية عن طريق " الاهتمام المتزايد بتعميم التعليم بالنسبة للصغار وتعليم الكبار ، وذلك لأن جمهور الأميين الكبار هم الذين يشكلون حجم مشكلة الامية في الوقت الحاضر [١٦٠] .

ومما لاشك فيه أن صدور القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ الذي مد فترة الإلزام في التعليم ليشمل المرحلة الإعدادية بعد ضمها إلى المرحلة الابتدائية تحت اسم " التعليم الأساسي" يعد خطوة جادة على طريق محو الأمية .

جـ – السياسة السكانية :

ويوجز الباحث الحديث عن هذه السياسة في نقطتين هما : البطالة والزيادة السكانية .

فبالنسبة للبطالة تبين الإحصاءات " أن لدينا قوة بشرية متزايدة كما يوجد لدينا قدر لا يستهان به من البطالة المقنعة "[١٦١]. وخطورة البطالة تكمن في تقليل حجم الادخار ضمن ما تكمن فيه .

وبالنسبة لزيادة السكان : فهي في مصر من أعلى المعدلات في العالم المعاصر وخبراء الاقتصاد أمام هذه المشكلة فريقان : فريق يرى أن الزيادة السكانية تلتهم كل ثمار التنمية ، وفريق يرى أن هذه الزيادة نعمة يمكن الاستفادة منها بأساليب كثيرة في مقدمتها :

– تحويل التعليم النظري إلى تعليم مهني وفني .

– الخروج إلى المدن الجديدة .

– توفير فرص العمل المنتج بمرتبات مجزية .

– تحويل مقار التدريب لطوابيرالسعاة والكسالى في دواوين الحكومة إلى طاقات إنتاجية [١٦٢] .

مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وأهميتها في النواحي الاقتصادية والتعليمية ، والسكانية :

من أهم النقاط البارزة فيما يمكن أن تسهم به هذه المناهج في نواحي الاقتصاد والتعليم والسكان مايأتي :

١– التنسيق بين دعامات الاقتصاد الوطني من زراعة وصناعة وتجارة بحيث لا يقتصر الاهتمام على دعامة دون الأخرى ، ولذا يقول جمال : " على ولي الأمر في الجماعة الإسلامية المهيمن على مصالحها أن يعمل جهده بما يحقق للأمة الانتفاع بهذه الوسائل الثلاث : الصناعة والزراعة والتجارة ، وأن يعمل على تنسيقها ولا يترك الأموال تتكدس في عنصر واحد منها [١٦٣]". ومما أورده القرآن الكريم في هذا الشأن :

الحديث عن طعام الإنسان والأنعام بقوله : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض

---

[١٥٩] صلاح الدين جوهر:محاضرات في التربية ومشكلات المجتمع العربي والإسلامي–القاهرة–المطبعة العربية،١٩٧٤م.ص ٢٣.

[١٦٠] المرجع السابق ص ١٢٣ – ١٢٤ .

[١٦١] فؤاد محي الدين " بيان الحكومة أمام مجلس الشعب" جريدة مايو العدد ٤٣ بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٨١) . ص١١ .

[١٦٢] انظر جميل جورج "تحقيق حول زيادة السكان في قفص الاتهام.جريدةأخباراليوم(العدد١٩٤٧،١٩٨٢/٢/٢٧)ص٣.

[١٦٣] أحمد [illegible] ط٣.القاهرة [illegible] ١٣٥٩–١٩٧٩م. ٢٦٦

شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس : الآيات ٢٤-٣٢) .

كما أشار إلى جملة من الصناعات التي بها قوام الحياة ، نذكر منها الإشارة إلى صناعات الحديد ، في قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ (الحديد : ٢٥)

الإشارة إلى صناعة الملابس بقوله تعالى : ﴿ . . . قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ﴾ (الأعراف : ٢٦) : وبهذا تتبين لنا عناية القرآن بتحصيل الأموال من هذه الطرق الثلاث ولقد سمى القرآن طلبها ابتغاء من فضل الله – سبحانه وتعالى – وقد بلغت عناية " القرآن بالأموال أن طلب السعي في تحصيلها بمجرد الفراغ من العبادة الأسبوعية المفروضة " [١٦٤] .

– كما أشار القرآن كذلك إلى العمل وأهمية الإجادة فيه ، وتقدير العاملين ، باعتبار أن العمل قيمة في ذاته ، وعلاج لمشكلات الفقر والبطالة والنمو السكاني . . .ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . .﴾ (التوبة : ١٠٥) . وقوله سبحانه : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه . .﴾ (الملك : ١٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " لأن يأخذ أحدكم أحبُله ، ثم يأتيَ الجبل فيأتيَ بحزمة من حطب على ظهره فيبيعَها فيكفَّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " [١٦٥] . وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنَه " [١٦٦] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من استأجر أجيرا فليعلمه أجره " [١٦٧] .

– تنمية الاتجاه التعاوني لدى النشء ، والنصوص في ذلك كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه " [١٦٨] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم " [١٦٩] .

كما أن هناك جملةً من الأحكام التي تنظم جملة من العقود التي أقرتها مصادر " التربية الإسلامية " يمكن أن يوجه النشء إليها باعتبارها ميادين يبرز فيها الاتجاه التعاوني ومن هذه العقود : الشركة – المضاربة – السلم – الجعالة – الحوالة – الرهن ، وغيرها .

– تنميه الاتجاه الادخاري ، وتنظيم الاستهلاك ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا

---

[١١٤] سعيد إسماعيل علي أصول التربية الإسلامية (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨) صـ ١٦٦ .

[١١٥] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، جـ ٨ ، صـ ١٤ .

[١١٦] جلال الدين السوطى ، جمع الجوامع (الأزهر ، مجمع البحوث الإسلامية) م ٥٢٣٢ .

[١١٧] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، السنن الكبرى ، جـ ٦ (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر بدون تاريخ) ص ١٢١ .

[١١٨] المرجع السابق صـ ١٢٠ .

[١١٩] صحيح البخاري ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص ١٨١ .

ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ﴾ (الفرقان : ٦٧) .

ويقول : ﴿ يقول أهلكت مالا لبدا ، أيحسب أن لم يره أحد ﴾ (البلد : ٦ ،٧) . ومن تنظيم عمر رضي الله عنه للاستهلاك أنه كان يرى ضرورة مراعاة الإنسان لذوى رحمه وجيرانه ، فلا يعطي لنفسه واهله كل ما تشتهيه ، وينسى ذوى رحمه وجيرانه في ذلك ؛ إذ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنه ساعة لقيه في السوق وقد اشترى لحما : " ما هذا يا جابر ؟ قال : لحم اشتهاه أهلي فاشتريته ، فقال : " أكلما اشتهيتم اشتريتم ، أكلما اشتهيتم اشتريتم ، أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه ؟ ، وأين تذهب عنكم هذه الآية " أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها "[١٧٠].

– تنمية الوعي نحو المحافظة على المصالح العامة ، واحترام الملكية الفردية ، ومن النصوص في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار " [١٧١] .

– تزويد النشء بالضوابط الأخلاقية في المعاملات ، والتي فيها : " الأمانة في الكيل والميزان قال تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ (الأنعام : ١٥٢) . تحريم الربا : ﴿ وذروا ما بقي من الربا ﴾ (البقرة : ٢٧٨) . عدم الغش : " من غشنا فليس منا " [١٧٢] . عدم الكذب : " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء " [١٧٣] . عدم كنز المال وضرورة إنفاقه في وجوهه المشروعة حتى لا يكون دولة بين الأغنياء ، قال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (التوبة ٥٣٤) .

– تنمية الوعي بأهمية العلم وقيمته في الحياة وضرورة تطبيقه فيها . وبيان أن الإسلام لايرى " للعلم حدا ينتهي عنده العالم ، وأن لحقائق الوجود مدى يمكن أن يحيط به العلماء " [١٧٤] بالإضافة إلى تنمية الاتجاه نحو محو الأمية ، ومحاربة أوضار الجهل ، والخرافة التي حاربها الإسلام في " كل لون من ألوانها : حارب الشرك بالتوحيد وبث في النفس والآفاق دلائله ، حارب جهالة التقليد ، وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره ، وأن يقف في عقائده ومعارفه ، ووسائل الحياة عندما وقف عليه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات ، حارب جهالة الأمية ، وأوصى بتعلم القراءة والكتابة ، ورفع من شأن العلم "[١٧٥].

وهذا يعني " أن التربية الإسلامية لم تكن تعيش بمعزل عن محو الأمية بمعناها الشامل في ذلك المجتمع الإسلامي ، بل كانت تعيش معها ، تنمو معها ، وتنموان معا مع نمو المجتمع الإسلامي . وهذا الاهتمام الإسلامي بمحو الأمية نبع

---

[١٧٠] البهى الخولى : الثروة في ظل الإسلام ،ط٢ ،(القاهرة ، دار النصر للطباعة ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م صـ ١٨١-١٨٣ .

[١٧١] سنن البيهقي ، مرجع سابق ، صـ ١٤١ .

[١٧٢] مستدرك الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، صـ ٩ .

[١٧٣] سنن الترمذي ، مرجع سابق ، صـ ٥١٥ .

[١٧٤] السباعى ، اشتراكية الإسلام (دار مطابع الشعب ، ١٩٦٢ م ، صـ ٥١٥١ .

[١٧٥] محمود الشرقاوى ، الدين والدولة العصرية (القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٤ م صـ ١٣١) .

من طبيعة الإسلام ذاتها ونظرته إلى الفرد والمجتمع . . . [١٧٦] .

ومن ذلك ما نجده في القرآن الكريم من الدعوة إلى العلم بقوله سبحانه : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ (العلق : ١) ، وقوله سبحانه : ﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة : ١١)، من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء " [١٧٧] ، وقوله : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " [١٧٨] ، وقوله " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه ، أو عالما ، أو متعلما " [١٧٩] .

كما جعل صلى الله عليه وسلم تعليم الأسير– في بدر– عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة فداء له من الأسر .

– تزويد النشء برأي الإسلام في النمو السكاني ، والذي يقضي بضرورة استثمار هذا النمو من إيجاد مجالات للعمل المنتج ، وحث على السعي المشروع في أرض الله سبحانه ، وهذا ما نجده في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك :١٥) وقوله سبحانه : ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾ (النساء : ١٠٠) .

وهكذا تبدو العلاقة وثيقة جدا بين التربية الدينية الإسلامية وبين النواحي : السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثانيا : " الميدان الخارجي "[١٨٠]:

إن سياسة مصر الخارجية تحكم بعدة مبادئ منها :

١– الإيمان بالقومية العربية والوحدة :

إن مصر لتؤمن بفكرة القومية العربية لما ترى فيها من الرابطة القوية التي توحد بين أبناء هذه الأمة بما لها من مقومات دينية وأرضية ولغوية وتاريخية واقتصادية . . . والوحدة تؤدي إلى التماسك بين أفراد الأمة العربية ودولها ، وهذا ما تهدف إليه مصر .

فالوحدة هي " ثمرة القومية العربية التي تشكل الآن الهدف النهائي للأمة العربية ثم هي فوق ذلك ضرورة تاريخية يفرضها منطق التطور العالمي المعاصر وانقسام العالم إلى كتل كبيرة " [١٨١] ، والوحدة مصدر القوة دعا إليها ديننا الحنيف بقوله سبحانه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ﴾ (آل عمران : ١٠٣) . ولذا يقول الغزالي رحمه الله : " وإذا كانت الدول الغربية والشرقية – على حد سواء – قد اختارت لنفسها شكلاً ما لوحدتها تحت ما

---

[١٧٦] إبراهيم عصمت مطاوع ، عبد الغنى عبود ، في التربية المعاصرة (دار الفكر العربى ١٩٧٧) ص ٢٥،٢٦.

[١٧٧] أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، ج ١ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (عيسى الحلبى وشركاه) بدون تاريخ ص ٨١ .

[١٧٨] صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٧٤ .

[١٧٩] سنن ابن ماجه ، مرجع سابق .

[١٨٠] انظر في ذلك : عبد المجيد سليمان حمروش : مرجع سابق ، صـ ٨٥ .

[١٨١] ملحيسة الجرف ، أبحاث في المجتمع العربي (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٤ م صـ ٣٦٦ .

يسمى " بحلف الأطلسي " وحلف وارسو " فإن العرب منذ أن احتضنوا رسالة الإسلام . وانتشرت جموعهم في بقاع شتى دخلت مصالحهم الجامعة في طور جديد ، طور يفرض عليهم وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تلم شملهم ، وتحمي حقيقتهم " [١٨٢] .

٢- توثيق العلاقات مع الدول الإسلامية :

" الوحدة الإسلامية هي في معناها الشامل شعور بالتضامن بين المسلمين ، تعود إلى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فالذين آمنوا بالله ورسالته : جمعتهم رابطة الإيمان ضد الوثنيين الذين لم يؤمنوا معهم . والذين كانوا يحاولون مقاومة رسالة الدين الجديد " .

ومبدأ التضامن الأخوي في الإسلام اكتسب أهمية قصوى . وقد رسخت جذوره العميقة في قلوب المسلمين ، فلم تقو أحداث ثلاثة عشر قرنا على إضعافه [١٨٣] .

" ومن ثم فإن شعبنا يؤمن برباط روحي وثيق يشده إلى العالم الإسلامي " [١٨٤] .

وقد حرصت مصر على مد جسور التعاون بينها وبين جميع الدول الإسلامية حيث تزودهم بالثقافة الإسلامية عن طريق كتبها وعلمائها ، كما يفتح أزهر مصر وجامعاتها الأبواب لتعليم أبناء هذه الدول [١٨٥] .

٣- الحياد الإيجابي وعدم الانحياز :

وهذا المبدأ من المبادئ التي تضمن العيش في سلام مع الآخرين فلا ضرر ولا ضرار . وفي معناه يقول " رئيس الجمهورية " : " عدم الانحياز هو الطريق الأفضل الذي يحقق مصلحة الشعوب في الحرية والأمان والعدالة ، وقد يتصل بهذا أننا في صياغة علاقاتنا بالدول الكبرى نحرص على التعاون مع كل منها حسبما يبديه من نوايا طيبة ، واستعداد حقيقي للتعاون - دون التدخل في شئوننا ، أو المساس بسيادتنا ، والافتيات على حرية إرادتنا - لأن مصر دولة عربية إفريقية .لاشرقية ولا غربية ، تمد جسور التعاون ، وتقاوم العدوان وتناصر الشعوب المناضلة التواقة إلى الحرية " [١٨٦] .

وهذا المبدأ لايتنافى والمبادئ الإسلامية ، مادام لا يعني الحياد في الصراع بين قوى الحق والباطل ، بل يعني الموقف الإيجابيّ في نصرة المظلومين ، والمستضعفين في الأرض ، حتى لو تطلب الأمر "الجهاد" في سبيل "الله" . والذي من أحد تطبيقاته " الجهاد من أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين

---

[١٨٢] محمدالغزالى : حقيقة القومية العربية ، وأسطورة البعث العربي ، ط٣ (دارالكتب الحديثة ١٣٩٧هـ١٩٧٧م ، ص١٤٣ .

[١٨٣] محمود كامل : الإسلام والعروبة (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦) صـ ٣٩-٤٥ .

[١٨٤] أحمد على إسماعيل ، سعيد محمود أحمد حري " التربية الوطنية " جمهورية مصر العربية والعالم المعاصر ، مراجعة محمد صبحى عبد الحكيم (جمهورية مصر العربية - وزارة التربية والتعليم ، ١٤٠٢/١٩٨٢ م) ص١٢٢-١٢٣ .

[١٨٥] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، دراسات في الميثاق (الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٣م- ١٣٨٣هـ .) ، ص ٢٥٦ .

[١٨٦] محمد حسنى مبارك " خطاب رئيس الجمهورية أمام مجلس الشعب والشورى " جريدة مايو العدد الأربعون ١٢ من محرم ١٤٠٢ هـ ، ٩ من نوفمبر ١٩٨١ م ص ٥ .

ينالون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير " [١٨٧] .

٤- التفاهم والتعاون الدولي من أجل الرخاء والسلام

إن التفاهم الذي يعبر عنه في الإسلام " بالشورى " والذي كثيرا ما ينتج عنه التعاون على البر والتقوى ، اللذين كثيرا ما ينشدهما ويوجه إليهما ديننا الحنيف : من الطبعي أن يكون من أعظم ثماره " الرخاء والسلام " في العالم كله ، ولذا يقول محمد البهي : " السلام العالمي معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات ، وقيام العلاقات بينهما على أساس الاستقرار والطمأنينة ، السلام العالمي هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة إنسانية أفضل وأهدأ ، وتوجيهها إلى البناء بدلا من الهدم لصالح الجماعة العامة وهي الإنسانية " [١٨٨]

كما أن " التعاون الدولي من أجل الرخاء يقارب بين المستويات الهائلة من التقدم بين شعوب الأرض جميعا ، وهو امتداد طبعي ضد الاستعمار والاستغلال " [١٨٩] .

ومصر بحكم موقعها الجغرافي في تفاعل مستمر مع غيرها من الدول ، ومن ثم " كان المجتمع المصري سباقا لغيره من المجتمعات العربية في اقتحام الدائرة العالمية ، وصارت العالمية محورا من محاور العمل المصري في المجتمع الدولي . وكانت رسالة مصر هي السلام للجميع ، والرخاء للجميع ، ومن ثم لم يكن غريبا أن يصبح المجتمع المصري من أقطاب هذه السياسة التي تتطلع إلى أمن البشرية في حاضرها ، وسعادتها في مستقبلها .

ومن منطلق دعوة مصر إلى السلام والرخاء فإنها تدعو إلى وقف تجارب الأسلحة النووية وانتشارها ، وعدم استخدام الفضاء الخارجي لغير الأغراض السلمية ، والحرص على أن تبقى أراضيها خالية من القواعد العسكرية ، وضرورة تعاون الدول الغنية مع الدول الفقيرة ، ومناشدة علماء العالم لتوجيه أبحاثهم ، واكتشافاتهم نحو خدمة الشعوب جميعها تحقيقا للرخاء والسلام .

ما الذى يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تلبية مبادئ وأهداف المجتمع المصري في الميدان العالمي ؟ .

إن مما يمكن أن تساهم به مناهج التربية الدينية الإسلامية في تلبية مبادئ وأهداف المجتمع المصري في الميدان العالمي :

١- تنمية الاتجاه نحو الوحدة العربية وتمكين الروح القومية في النفوس على أساس من الدين ، وما جاء به من تعاليم ، وما جاء فيه من قيم وأخلاق [١٩٠] ، ذلك أن الإسلام " لايعترض على القومية كوحدة اجتماعية ينتمي إليها الفرد ، ويعتز بمكارمها ، ويسعى لخدمتها ، كما لا ينكر لحب المرء أمته ، وحنينه لوطنه . . " فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قال يوم فتح مكة حين عاد إليها منتصرا : " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله . ولولا

---

[١٨٧] عبد الحليم محمود" الجهاد " كتاب المؤتمر الرابع(القاهرة :الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٨م)ص ٣٦

[١٨٨] محمد البهى : الإسلام في حياة المسلم ، ط ٥ (مكتبة وهبه ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) صـ ٤٨٢ .

[١٨٩] أحمد سويلم العمرى : المجتمع الغربى وتطوراته الاجتماعية السياسية (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤) ص ٤٣ .

[١٩٠] محمد عمر التومي الشيباني،فلسفة التربية الإسلامية -طرابلس:الشركة العربية العامة للنشر والتوزيع والإعلان ،١٩٦٧ص ٣٠١.

أن قومي أخرجوني مثلك ما خرجت " . وقال المفسرون عن قوله تعالى :﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ (الزخرف ٤٤) : إن "العرب" هم قوم الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وإنه شرف لهم ، وإنه رسالتهم إلى الناس جميعا وسوف يُسألون عن تبليغها لهم ، فالعرب دون شك هم وعاء الإسلام الأصيل الصقيل اختار الله منهم خاتم رسله ، واصطفى لسانهم لآخر كتبه ، وارتضاهم حملة لديه القويم " [١٩١] ، وما أزهر مصر – بعلمائه الذين حملوا تعاليم هذا الدين إلى الدنيا كلها إلا امتداد للسلف الصالح في تبليغ هذه الرسالة .

ولكن الإسلام يرفض مبدأ القومية التي تجعل ولاء الفرد لعنصر ، أو جنس ، أو لون أو الانتصار لسياسة مهما كانت قبل الولاء للدين ، وفي ذلك يقول المولى سبحانه : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ (التوبة ٢٤) .

٢– تنمية الاتجاه نحو الأمة الإسلامية ، التي لا يوجد بين أفرادها " شعور الجنس ولا القبيلة . كما لا تفصل بينهم حدود المكان ، وأحداث الحياة ، ويجمع بينهم الإيمان ، وبالإيمان وحده تلغى الحواجز . . . ربكم واحد ، ومنهجكم منهج واحد ، وغايتكم في الحياة واحدة ، وسبيلكم إليها واحد أيضا ، أنتم جماعة من الناس تُنادى " يا أيها الذين آمنوا " وإنما المؤمنون إخوة "[١٩٢] .

٣– تنمية الاتجاه لدى النشء " نحو الجهاد باعتباره وسيلة للتمكين في الأرض ، وإعلاء كلمة الله " ومناصرة المستضعفين في الأرض ، وتزويدهم بالمبادئ الإسلامية المتعلقة بالعزة وبالكرامة ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (المنافقون :٨) والتي تستوجب تفرد الأمة الإسلامية ، وتميزها في علاقتها مع الأمم الأخرى ، الأمر الذي يعني أن التحالف مع معسكر أعداء الحق والفضيلة ، ويؤمن بالسيطرة والاستعباد إنما هو موالاة جاء النهي عنها " [١٩٣] ، فلقد قال الله تعالى :﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (الممتحنة :٩) .

٤– تزويد النشء بالمبادئ الإسلامية المقررة لصيانة السلام العالمي ، كما قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولاتتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة :٢٠٨) " فإذا حصل للمؤمنين إيذاء بسبب صيانته دفعوا الإيذاء بمثل الصورة التي وقع بها ، قال تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ (البقرة :١٩٤) فإذا عرض عليهم السلام ممن يناصبونهم العداء قبلوا هذا الجنوح قال تعالى : ﴿ وإن

---

[١٩١] أحمد محمد جمال ، محاضرات الثقافة الإسلامية ، ط٣ (القاهرة : مؤسسة دار الشعب –١٩٧٥م صـ ٢٤٦ . انظر أيضا : سيد قطب : في ظلال القرآن جـ٩ الآية رقم ٤٤ صـ ٣١٩١ ، الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢ م والجلالين : محمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ –١٩٨٤م دار المعرفة ، ص ٦٥١ والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الثامن ، جـ ١٦ص٦٧ دار الكتب العلمية بيروت –١٩٩٢ م وابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ،١٩٨٣م ص١٢٩ دار المعرفة ، بيروت .وغيرهم .

[١٩٢] محمد البهى ، الإسلام في حياة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٩٠ .

[١٩٣] عبد المجيد سليمان خروش : مرجع سابق ، ص ٩٠ .

جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ (الأنفال : ٦١) . ومع شدة حرص الإسلام على السلام العالمي إلى هذا الحد الذى نراه فإنه لا يريد للمسلمين أن يُستذلوا في سبيله . بل يجب عليهم أن يحافظوا على السلام وعلى كرامتهم معا ، يقول جل شأنه : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ، والله معكم ،ولن يتركم أعمالكم ﴾ (محمد : ٣٥) [١٩٤] .

خاتمة : وبهذا يكون الباحث قد أوضح طبيعة المجتمع المصري الحالي : ماضيه ، وحاضره ومشكلاته ، وتطلعاته نحو المستقبل داخليا وخارجيا ، فهو مجتمع مسلم ، الإسلام هو عقيدته وفلسفته للكون والإنسان والحياة ، إذ الإسلام هو أساس صفات الأفراد وهو الذي يحكم طبيعة العلاقات والارتباطات بين أفراده وجماعاته ، كما أنه يحكم النظم والمؤسسات السائدة فيه ، وهذه هي الصفات الغالبة فيه .

وإنما أفرد الباحث حديثا خاصا بالمجتمع المصري بعد حديثه العام عن المجتمع لأن موضوع البحث الأساسي متعلق بمرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية ، ومع ذلك اكتفى الباحث بالمعايير المستنتجة من الحديث عن المجتمع المسلم بصفة عامة ، لأن المجتمع المصري ماهو إلا جزء من المجتمع المسلم .

ثانياً: الحياة الآخرة :

مقدمة : سبق أن قلنا -- عند الحديث عن الحياة بصفة عامة – أن الحياة دنيا وآخرة وهما مرتبطان وقلنا ، أن الحياة الدنيا هي مجموعة أنشطة الكائنات التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية ، وعمارة الأرض ، وترقية الحياة على ظهرها . . . الخ ، وإذا كان هذا الفصل قد اهتم بالحياة الدنيا فإنما ذلك لأنها مرتبطة بالحياة الآخرة. فالدنيا مزرعة الآخرة، وما يقدمه الإنسان في الحياة الدنيا يلقي ثماره في الحياة الآخرة ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ (المزمل : ٢٠) ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (الزلزله : ٦ – ٨) وآخرة كل إنسان تبدأ بموته ، فالموت نهاية الحياة الأولى وبدء الحياة الآخرة بالنسبة لكل فرد إذ تنتهي أعماله الدنوية ويبدأ يجني ثمارها ، وقبره إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، . . . وعلى ذلك فسيكون حديث الباحث عن الحياة الآخرة مبتدأ بالحديث عن الموت ثم البعث ثم الحشر ثم الصراط ثم الحساب ثم النار وأهلها ثم الجنة وأهلها . فما الموت ؟

الموت :

إذا كانت الحياة تتحقق باتصال الروح بالجسد ، فإن الموت يتحقق بانفصال الروح عن الجسد . فالموت أول منازل الآخرة قال تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ (الواقعة : ٨٣ – ٨٤) وقال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ (الزمر :٤٢) يقول السيد سابق " والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت [١٩٥] .

القبر :

---

[١٩٤] محمد البهى ، الإسلام في حياة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٨٥ .

[١٩٥] السيد سابق : العقائد الإسلامية : بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٦ .

والقبر هو الدار الثالثة التي يحل فيها الإنسان ، إذ الأولى بطن الأم ، والثانية الدار التي ينشأ فيها ويألفها في الحياة الدنيا والثالثة القبر ، قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (طه : ٥٥) وقال سبحانه : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ (عبس : ٢١) وقال تعالى :﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) والرابعة الجنة أو النار .

سؤال القبر :

قال سيد سابق : " اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يُسأل بعد موته قُبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع ، أو أحرق حتى صار رمادا ، ونسف في الهواء ، أو غرق في البحر لسئل عن أعماله وجوزي بالخير خيراً ، وبالشر شرا ، وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً [١٩٦].

وقال ابن القيم:" إن مذهب السلف وائمتهم أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يكون لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعَّمة أو معذَّبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم إلى رب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى"[١٩٧] .

التوجيه القرآني والنبوي في ذلك :

قال تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ (إبراهيم) ، جاء في تفسير الجلالين : " بالقول الثابت " هي كلمة التوحيد ، " في الحياة الدنيا وفي الآخرة " أي في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ، " ويضل الله الظالمين " الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لاندري كما في الحديث [١٩٨] ، وقوله سبحانه في قوم نوح : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾ قال في تفسير الجلالين :" أُغرقوا " بالطوفان ،" فأدخلوا نارا " عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء " [١٩٩] . وقال ابن القيم :" نحن نثبت ما ذكرناه . . فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال :" إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ؛ أما أحدهما فكان لايستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " [٢٠٠] .

---

[١٩٦] المرجع السابق : ص ٢٦٧ .

[١٩٧] الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية : كتاب الروح ، بيروت ، دار العلوم الحديثة ، ص ٥٢ .

[١٩٨] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الإمامين الجليلين ، بيروت ، دار المعرفة ، ط٣ ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م ، ص ٢٣٤ .

[١٩٩] المرجع السابق .

[٢٠٠] ابن القيم ، مرجع سابق ص ٥٢ .

٢٤ – ولهذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الموت أول درجات الآخرة فيستعدوا له بصالح العمل ، وضرورة أن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى النجاة من عذاب القبر وفتنته .

البعث :

والبعث إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب ، ثم إما إلى جنة وإما إلى نار : ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ (الشورى ٧) " ويبدأ اليوم الآخر بالبعث وهو إعادة الإنسان روحا وجسدا ، كما كان في الدنيا . . ولا يعرف الإنسان هذه النشأة الأخرى لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى " [٢٠١] ، قال تعالى :﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون ﴾ (الواقعة : ٦٠ – ٦٢) .

التوجيه القرآني في ذلك :

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث : مستدلا بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبينا أن الله قادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء فلا تعجزه إعادة الأجسام لنفوذ قدرته ، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه . . . ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (يس : ٧٨ – ٧٩) .وقوله : ﴿ وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ (الحج : ٧) .﴿ . .قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ (التغابن :٧) .

شبهة منكري البعث والرد عليها :

لقد استبعدت طوائف من الناس هذه الحقيقة "حقيقة البعث " زاعمين أنها مخالفة لما عاهدوه من السنن المألوفة ومستبعدين ذلك ، ومستعظمين أمره ؛ لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض ، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب ، ثم يتحول التراب إلى نبات فيتغذى إنسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت . . . وهذا الإنسان يتحول كغيره ، وهكذا تتداخل الأجسام بعضها في بعض ، فكيف يبعث الله الناس بعد هذا التداخل ؟.

يقول السيد سابق في الرد على هذه الشبهة :" يجيب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن الإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية والأجزاء الأصلية تبقى كما هي ، والعرضية هي التي تتحول " [٢٠٢] . وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تتردد في صدر الكثير ، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ، ثم يميتكم ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الجاثية : ٢٤ – ٢٦) .

---

[٢٠١] السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

[٢٠٢] المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

فهؤلاء الذين أنكروا البعث ، رد الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له ! ! لأنهم يجهلون عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته ، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم ، فهم أنفسهم أدل الدلائل ، وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث ، فالله أحياهم أولا ، وأماتهم ثانيا ، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأي استبعاد في هذا ؟ !

والإعادة في عرف الناس أهون من البدء ، وقد بدأ الله الخلق لأول مرة ولم يصعب عليه ذلك فإعادته أهون عليه ، هذا بالقياس العقلي والبشري ، وإن كان الله – سبحانه وتعالى – ليس كمثله شيء فلا يقاس عمله بعقولنا ، فلا سهولة ولا صعوبة بالنسبة له وإنما أمره – سبحانه – إذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ، ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (الروم : ٢٧) .

اختلاف الناس عند البعث :

"والناس يختلفون عند البعث اختلافا كبيرا حسب أعمالهم فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجسادا وأرواحا ، والذين خبثت أعمالهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه –أن الرسول صلى الله عليه وسلم – قال : "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم . قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك "رواه الترمذي ، وفي الحديث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " يحشر المتجبرون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذّر تطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل " ، وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه" أي : إن من مات على خير يبعث على حال سارة ، ومن مات على شر يبعث على حال شنيعة . . ومع كون البعث بالأجساد والأرواح الا أن القوى الروحية تكون هي القادرة على التصرف في الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة في أقصر مدة والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار ، يكون مثلهم في ذلك مثل الملائكة والجن في قدرتها على التشكيل وظهورها في الأجساد تأخذها من مادة الكون وقد ثبت ذلك ثبوتاً علمياً [٢٠٣] . . .

ومما تقدم يجب أن يتعرف التلاميذ من خلال المحتوى الذي يقدم لهم على البعث ، وتستنتج لهم الأدلة العقلية من خلال الفهم والوعي لهذه الأدلة بحيث تكون لديهم المقدرة على إقناع الآخرين بإمكان وقوع البعث ثم بضرورة الاعتقاد بوجوب وقوعه ليلقى كل إنسان جزاء عمله ، إما في دار كرامة و إما في دار إهانة وذلك ليستعدوا بصالح العمل فيسعدوا في أخراهم ويبعثوا مكرمين وينتهي أمرهم بدار الخلد والنعيم .

٢٥ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وجوب الإيمان بالبعث والأدلة الموجبة لهذا الإيمان ، وضرورة أن تقدم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

---

[٢٠٣] المرجع السابق ص ٢٧٣ .

الحشر :

وهو إخراج ا لله الناس من قبورهم بعد إحيائهم وسوقهم إلى أرض المحشر لحسابهم وانتهاء الأمر بهم إلى الجنة للطائعين وإلى النار للعصاة المذنبين ، ولذا سمى ا لله يوم الدين بيوم الجمع ، لأن ا لله يجمع العباد جميعا ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ (هود :١٠٣) ، ويستوي في هذا الجمع الأولون والآخرون ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ (الواقعة :٥٠) ، وقدرة ا لله تحيط بالعباد ، فا لله لا يعجزه شيء ، وحيثما هلك العباد فإن ا لله قادر على الإتيان بهم وإن هلكوا في أجواء الفضاء أو غاروا في أعماق الأرض . وإن أكلتهم الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة أو أسماك البحار ، أو غيبوا في قبورهم في الأرض كل ذلك عند ا لله سواء ، ﴿ أينما تكونوا يأتِ بكم ا لله جميعا إن ا لله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة: ١٤٨).

" وكما أن قدرة ا لله محيطة بعباده يأتي بهم حيثما كانوا فكذلك علمه محيط بهم فلا ينسى منهم أحدا ، ولا يَضل منهم أحد ، ولا يَضلّ منهم أحد ، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى وعدهم عدا ﴿ إن كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ (مريم :٩٣- ٩٥) ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ (الكهف ٤٧) .

وهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعا : الإنس والجن والملائكة . ولا حرج على من فقه منها أن الحشر يتناول البهائم أيضا " [٢٠٤] .

وقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم فذهب ابن تيمية رحمه ا لله إلى أن ذلك كائن إذ يقول : " أما البهائم فجميعها يحشرها ا لله سبحانه وتعالى كما في الكتاب والسنة " ، قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (الأنعام ٣٨) ، وقال تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ (التكوير :٥) . . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (الشورى :٢٩) و" إذا " إنما يكون لما يأتي لا محالة " [٢٠٥] .

صفة حشر العباد :

يحشر العباد حفاة عراة غرلا – أي غير مختونين -- ففي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي ا لله عنهما أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " إنكم محشورون حفاة عراة غرلا "[٢٠٦]، ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (الأنبياء : ١٠٤) ، وعندما سمعت عائشة الرسول صلى ا لله عليه يقول : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " قالت : يا رسول ا لله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " . . . متفق عليه [٢٠٧] .

---

[٢٠٤] عمر سليمان الأشقر : القيامة الكبرى ، ط ١ ،الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م ،ص ٥٧ .

[٢٠٥] ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام : جـ ٤ ، ص ٢٤٨ .

[٢٠٦] الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح الإسلامي ،دمشق ،الطبعة الأولى ، ١٩٦١م ، ج٣ ،ص٧٥ ،رقم الحديث ٥٥٣٥.

[٢٠٧] المرجع السابق : رقم الحديث ٥٥٣٦ ، ص ٥٧ .

كسوة العباد يوم المعاد :

يقول عمر سليمان الأشقر : إن الله يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا . كما صحت بذلك الأحاديث ، ثم يُكسَى العباد ؛ فالصالحون يُكسَون الثياب الكريمة ، والطالحون يسربلون بسرابيل القطران ، ودروع الجرب ، ونحوها من الملابس النكرة الفظيعة [٢٠٨] ، قال تعالى : ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد.سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ (إبراهيم : ٤٩-٥٠) .

أرض المحشر :

الأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض قال الله تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ (إبراهيم : ٤٨) ، وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن صفة هذه الأرض الجديدة التي يكون عليها الحشر ؛ ففي صحيح البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي " [٢٠٩] ، الدقيق النقي من الغش والنخال [٢١٠] .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تحشرون ها هنا . وأومأ بيده نحو الشام " وأخرج البزار والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " مَن شك أن المحشر بالشام ، فليقرأ هذه الآية : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ (الحشر : ٢) وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : " اخرجوا " ، قالوا : " إلى أين ؟ " قال : " إلى أرض المحشر" . . وأخرج البزار والطبراني بسند حسن عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا : " إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجمعون إلى يوم القيامة ﴾ [٢١١] .

ولا تناقض بين أن الأرض تمد والأرض تطوى والأرض تبدل وبين كون الشام منها موضعا للحشر لأنها تعتريها كل هذه الأشياء ، ويوضح الحافظ ابن حجر الجمع بين كل ما يعتريها من مثل هذه الأمور فيقول : " لا تنافي بين تبديل الأرض وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا لكن أرض الموت غيرها ، فإنهم يزجون من أرض الدنيا بعد تغييرها إلى أرض الموقف ، قال : ولاتنافي أيضا بين أحاديث مصيرها خبزة وغبرة ونارا ، بأن تجمع بأن بعضها يصير خبزة ، وبعضها غبرة ،وبعضها نارا، وهو أرض البحر خاصة [٢١٢] .

التوجيه : وتجيء كل نفس إلى المحشر بملَك يسوقها وملَك يشهد عليها قال تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها

---

[٢٠٨] عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

[٢٠٩] أحمد بن على بن حجر العسقلاني : شرح صحيح البخاري باب يقبض الله الأرض ، بفتح الباري : (٣٧٢/١١) ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب البعث والنشور (٢١٥/٤) ورقم الحديث ٢٧٩٠ والسياق للبخاري.

[٢١٠] عمر سليمان الأشقر ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

[٢١١] انظر : أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : البدور السافرة في أمور الآخرة ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ١٤١١هـ - ١٩٩٢ م ص ٤٢- ٤٣ .

[٢١٢] أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،مرجع سابق ، ص ٥٣ .

سائق وشهيد ﴾ (ق : ٢١) . . . وجاء في تفسير ابن كثير في هذه الآية : " أي : ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله [٢١٣] . وفي ختام هذا اليوم يحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وهو المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعا ، وقد أخبرنا الرسول صلى ا لله عليه وسلم أنه يطلب من كل أمة في آخر ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده ، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس ، والذي كان يعبد القمر يتبع القمر ، والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها ، والذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه ثم إن هذه الآلهة الباطلة تتساقط في النار ويتساقط عُبّادها وراءها في السعير ، كما قال تعالى في فرعون :﴿ يقدُم قومه قوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ (هود : ٩٨) .

ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب ، وفي المؤمنين المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا ، فيأتيهم ربهم عز وجل فيقول لهم ما تنتظرون ؟ فيقولون ننتظر ربنا ، فيعرفونه بساقه عندما يكشفها لهم ، وعند ذلك يخرّون له سجودا ، إلا المنافقين فلا يستطيعون ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يوم يُكشف عن ساق ويُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ (القلم : ٤٢) ، ثم يتبع المؤمنون ربهم ، وينصب الصراط ، ويعطى المؤمنون أنوارهم ، ويسيرون على الصراط ويطفأ نور المنافقين ، ويقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة .

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير ا لله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد ا لله من بر وفاجر ، وغبر أهل الكتاب – بقاياهم– فيدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً ابن ا لله ، فيقال : كذبتم ، ما اتخذ ا لله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، ثم يُدعَى النصارى ، فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح بن ا لله ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ ا لله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ما تبغون : فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال : فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب ، يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد ا لله تعالى من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين – سبحانه – في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ با لله منك لا نشرك با لله شيئا (مرتين أو ثلاثا) ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفون بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساقه ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن ا لله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل ا لله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رءوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ،

---

[٢١٣] إسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، بيروت ، دارالمعرفة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ص ٢٢٥ .

قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : مَحْض مَزَلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها : السعدان ، فيمر المؤمنون طرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، والركاب ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم . . .[٢١٤] .

٢٦ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على وجوب الإيمان بالحشر ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يؤكد ذلك ويدعو إلى النجاة من أهواله .

الحساب:

والحساب هو دليل العدل الإلهي الذي به يأخذ كل ذي حق حقه وإن كانت رحمة الله هي الغالبة والمدخرة لهذا اليوم الرهيب ، ولو لم ينقذ الله خلقه برحمته لأهلكهم ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ (فاطر : ٤٥) .

يقول السيد سابق : الحساب هو مقتضى العدل الإلهي[٢١٥] . . إن الله سبحانه متصف بصفات الكمال ، ومن صفات الكمال العدل ، والعدل يقتضي عدم التسوية بين البر والفاجر ، والله قد فطر الناس على معرفته ، ثم أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب فلا حجة لهم نحو أمر أُمروا به ولا جرأة على نهي نهوا عنه ، قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (الجاثية : ٢١ ، ٢٢) .

إن التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحيين الذين يحسبون الحياة لهوا ولعبا ، والله عز وجل يقول : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ (ص : ٢٧ – ٢٨) .

إن الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ، وقلما يتذكرونها ، والله يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ، إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (غافر :٥٧ –٥٩) ، إنه لابد من يوم تتكشف فيه الحقائق ، وتظهر فيه مكنونات الضمائر ، ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ (النجم :٣١) .

كيفية الحساب :

بعد أن يرد الله الحياة إلى الناس من جديد يحشرهم إليه ، ويجمعهم لديه ، ليجازى كل فرد منهم على ما عمل من خير أو من شر ، فتشهد الأرض بما حدث عليها ، ومن التوجيه القرآني في ذلك :

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك

---

[٢١٤] الإمام مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – طبعة دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية – ج١ ، ص١٦٧ ، ورقم الحديث ١٨٣ .

[٢١٥] المرجع السابق ، ص ٧٧٥ .

أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا اعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (سورة الزلزلة) . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يومئذ تحدث أخبارها " فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ؛ أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال فهذه أخبارها " رواه أحمد والبغوي والترمذي وصححه [٢١٦] .

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة ، والأيدي ، والأرجل ، والجلود . . وبهذا تتم حجة الله على العالم : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ (النور : ٢٤ - ٢٥) ، ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ (فصلت : ١٩ - ٢٣) ، ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ، أم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ (المجادلة :٦-٧) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا " ﴿ كما بدأنا أول الخلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (الأنبياء : ١٠٤) ، ألا إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنتُ عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (المائدة : ١١٨) . قال فيقال لي : "إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : " سحقا سحقا " رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي [٢١٧] .

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتزول قدما عبد حتى يُسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه " رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح [٢١٨] .

كيفية إحصاء الأعمال وعرضها: وإحصاء الاعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة المركلين بذلك .

---

[٢١٦] المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

[٢١٧] المرجع السابق : ص ٢٨٣ .

[٢١٨] المرجع السابق ، ص ٢٨٣ . وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٠) .

التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾ (الانفطار : ١٠-١٢) ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (ق : ١٨) . فإذا كان يوم الحساب جيء بالكتب التي دونت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها ﴿ وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (الإسراء : ١٣-١٤) . ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (الكهف : ٤٩) .

وهذه الكتب التي توزع على أصحابها : منهم من يأخذ كتابه بيمينه وتكون بشرى من البشريات السارة ، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله . أو من وراء ظهره ويكون ذلك علامة على سوء الحساب . قال تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ،وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا ، إنه كان في أهله مسرورا ، إنه ظن أن لن يحور ، بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ (الانشقاق :٦ -١٥) .

العلم وتسجيل الأعمال :

وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثبتت ثبوتاً علمياً . فما من صوت من الأصوات . ولا عمل من الأعمال ، ولا حركة من الحركات إلا وهي مسجلة في سجل الكون ، ومدونة في كتاب الوجود ، فليس منها شيء ضائع . ولا يمكن لشيء منها أن يزول ، والله يقول في ذلك : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (الأنعام :٥٩) .

دقة الحساب:

وتبلغ الدقة في الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور ، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر ، سواء أكان ذلك عملا مارسه بالفعل ، أوعملا نواه وأصرّ عليه . فتقام لذلك موازين القسط ، حتى يتحقق العدل الإلهي على أكمل صوره ، قال سبحانه : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (الأنبياء :٤٧) .

ثم تكون عاقبة كُلٌّ حسب رجحان الميزان بالعمل الصالح . أو نقصانه ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ (المؤمنون :١٠٢ -١٠٣) .

الله هو الذي يتولى الحساب: والله سبحانه هو الذي يحاسب الناس جميعا بنفسه بدون واسطة . ومن التوجيه في ذلك : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ (آل عمران : ١٩٩) .﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ (الأنبياء : ٤٧) . وعن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة . ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة " رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وقد حدث الإمام علي كرم

الله وجهه بهذا الحديث فقال له أحد الرجال : يا أمير المومنين كيف يحاسب الله الناس في وقت واحد ؟ ! فقال : " كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد " [٢١٩] .

رحمة الله بالمؤمنين يوم الحساب :

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه ، لأن من نوقش الحساب عذب . قيل لابن عمر : كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى ؟ – والمراد بها هنا مناجاة الله لعبده المؤمن في الآخرة – ، قال : سمعته يقول : " يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه – أي : ستره – فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم . ويقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم فيقرره – أي : بذنوبه – ، ثم قال : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى صحيفة حياته وأما الكفار فينادى على رءوس الأشهاد ، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين " رواه البخاري ومسلم [٢٢٠] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ . فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب " [٢٢١] .

٢٧ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن عدل الله اقتضى محاسبة الناس على أعمالهم يوم القيامة ليجزى كلٌّ بما عمل ، وأن يقدم لهم المحتوى ما يثبت صدق ذلك ؛ حتى لا يعملوا إلا ما يرضى به الله عنهم .

الصراط :

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ، فأهل الجنة يمرون عليه ، وهم متجهون إليها ، وأهل النار يسقطون فيها .

التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (مريم : ٧١-٧٢) . وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها – فيما يروي عنها الترمذي ومسلم – بعد أن تلت هذه الآية ، ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ . . يا رسول الله أين يكون الناس ؟ قال صلى الله عليه وسلم : على الصراط .

وفي حديث الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يضرب الصراط بين ظهرَي جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم " [٢٢٢] . . . وروى مسلم عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وترسل الأمانة والرحم فتقومان

---

[٢١٩] المرجع السابق ص ٢٨٦ .

[٢٢٠] المرجع السابق : ص ٢٨٧ .

[٢٢١] المرجع السابق : ص ٢٨٧ .

[٢٢٢] المرجع السابق : ص ٢٨٨ .

على جنبتي الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق . قال : قلت : بأبي أنت وأمي . أي شيء كالبرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرحال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط ، يقول : رب،سلم سلم ،حتى تعجز أعمال العباد ،حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا،قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به ،فمخدوش ناج ومكدوس في النار[٢٢٣].

٢٨ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وجوب الإيمان بوجود الصراط يوم القيامة ، وأن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح لهم ذلك ويحثهم على العمل بما يجعلهم يعبرونه بسلام إلى الجنة .

النار وأهلها :

من عدل الله– سبحانه وتعالى – أنه أعد لأهل طاعته جنة عرضها السموات والأرض . وأعد للعصاة نارا تلظى وقودها الناس والحجارة . . فالفجار والكفار يصلون الجحيم ؛ والجحيم هذه هي دار العذاب وتسمى بأسماء متعددة ، فتسمى بالهاوية ﴿ وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ﴾ (القارعة :٨) ، وتسمى السعير ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ (الملك :٥) ، وتسمى لظى ﴿ كلاّ إنها لظى ﴾ (المعارج :٥) ، وتسمى سقر ﴿ سأصليه سقر ﴾ (المدثر :٢٦) ، وتسمى الحطمة ﴿ لينبذن في الحطمة ﴾ (الهمزة :٤) .

أهوال الجحيم : وقد وصف الله الجحيم وصفاً تشيب منه النواصي ، وتنخلع منه القلوب ، كي يرتدع الغاوون عن غيهم فذكر أن وقودها الناس والحجارة ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ (التحريم : ٦) ، وأنها لا تشبع مما يلقى فيها ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (ق :٣٠) ، وطعام أهلها الزقوم ﴿ أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم ، إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين ، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ﴾ (الصافات :٦٠ – ٦٧) وثياب أهلها من نار ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ (الحج :١٩ – ٢٢) .

وجهنم تحيط بالمعذبين من كل جانب فهي فراش وغطاء : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواشٍ وكذلك نجزي الظالمين ﴾ (الأعراف : ٤١) ، ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ﴾ (الزمر : ١٦) ، وأهل جهنم لا يموتون فيستريحون ولا يحيون الحياة الهنية ؛ قال تعالى:﴿ ويتجنبها الأشقى ، الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ (الأعلى : ١١–١٣) .

وأهل النار محجوبون عن الله ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (المطففين : ١٥) ، وهذا هو أشد أنواع العذاب ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً

---

[٢٢٣] عمر سليمان الأشقر : مرجع سابق ، ص ٢٦٥ .

غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ (النساء : ٥٦) ، يقول السيد سابق : " ففي هذه الآية أن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ، والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي الطبقة الجلدية ، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية ، فالإحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا ، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة ، لانه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا " ، فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع ، ويذوقوا العذاب الأليم ، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ [٢٢٤] .

ومن شدة الهول وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ، ولكن لا ينفع فداء ، ولا يقبل رجاء ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ، كلا ﴾ (المعارج : ١١-١٥) .

نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة: نار الدنيا مهما تأججت واستعرت فهي هينة جدا بالنسبه لنار الآخرة وقانا الله شرهما معا ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فانها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها " رواه البخاري ومسلم والترمذي [٢٢٥] .

أهون الناس عذابا: عذاب جهنم شديد وإن قلّت مساحته وصغر حجمه فهو فوق التحمل البشري . فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أهون الناس عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا ، وإنه لأهونهم عذابا " رواه البخاري ومسلم والترمذي [٢٢٦] .

المؤمن لا يخلد في النار: المؤمن بالله وإن عصى فمآله الجنة ولكنه إن وقعت منه المعصية ولم يقع منه ما يكفرها فإنه ينال ما قدر له عليها من العقاب في النار ، ثم يدخل الجنة بعد ذلك . يقول السيد سابق : جاء في السنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلد في النار ، فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تكفر بحد ، أو توبة نصوح ، أومصيبة ، أو مرض ، أو شيء من المكفرات ، فهو يحاسب على عمله ، والله يوازن بين أعماله الصالحة ، وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها ، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة وكذلك إذا تساوت حسناته وسيئاته " ثم يورد هذه الآية ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (الأنبياء :٤٧) .

وإن رجحت سيئاته فإنه يدخل النار فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم ، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر ، وبعد أن يوفيه الله جزاءه ، بمقتضى عدله وحكمته . . ثم يورد هذين الحديثين : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن

---

[٢٢٤] المرجع السابق : ص ٢٩٤ .

[٢٢٥] المرجع السابق : ص ٢٩٥ .

[٢٢٦] المرجع السابق : ص ٢٩٥ .

النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ؛ ثم يقول ا لله تعالى : " أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان " فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية " رواه البخاري ومسلم والنسائي . . عن أنس رضي ا لله عنه أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا ا لله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال :لا إله إلا ا لله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا ا لله وفي قلبه وزن ذرة من خير " رواه البخاري ومسلم والترمذي [٢٢٧] .

الشفاعة للعاصي : وبعد انتهاء مدة العذاب للعاصي يشفع له الرسول – بإذن من ا لله سبحانه ، قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : ﴿ لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة " رواه البخاري وزاد مسلم " فهي نائلة إن شاء ا لله من مات من أمتي لا يشرك با لله شيئا " ، وعن عمران بن حصين رضي ا لله عنه أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال :" يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى ا لله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنّميين " رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه " [٢٢٨] .

٢٩ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن ا لله أعد نارا أعظم من نار الدنيا بكثير ليعذب بها الكافرين والعصاة الذين لم يغفر ا لله لهم ذنوبهم . وضرورة أن يتضمن المحتوى النصوص الموضحة لذلك حتى يحول ذلك بينهم وبين المعصية .

الجنـــة[٢٢٩]:

الجنة في الأصل: البستان من النخل أو الشجر .

وهي مأخوذة من جن إذ ستر ، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقة وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض فتكون كالظلة تستر ما تحتها .

المقصود بها: المقصود بالجنة هنا الدار التي أعدها ا لله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق ،وعملهم الصالح .

من أسمائها الواردة في القرآن الكريم : وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء فهي : جنة المأوى ، وجنة عدن ودار الخلود ، والفردوس ، ودار السلام ، ودار المقامة ، وجنات النعيم ، والمقام الأمين .

عرضـها : جاء في القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض ، وقد روي أن النبي صلى ا لله عليه وسلم سئل عن مكان النار إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض ؟ فأجاب بقوله صلى ا لله عليه وسلم : " سبحان ا لله فأين الليل إذا جاء النهار " .

التوجيه في ذلك : قال تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (آل عمران : ١٣٣) .

---

[٢٢٧] المرجع السابق : ص٢٩٦ .

[٢٢٨] المرجع السابق :ص ٢٩٧ .

[٢٢٩] انظر : السيد سابق : المرجع السابق . ص ٣٠٠ وما بعدها.

أهلها : والجنة لا يدخلها إلا من قام بجلائل الأعمال واتصف بكرائم الصفات .

ومن التوجيه قوله سبحانه : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ (التوبة : ١١١-١١٢) .

نعيمها : وصف الله الجنة بأن نعيمها دائم وسرورها لا ينفد وكل ما فيها بغير حساب ، فأنهارها كثيرة ثرة : ففيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهذه الأنهار تجرى من تحت القصور ، وفيها الفواكه ، ولحم الطيور ، وكلما رزق أهلها من ثمر رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ، يماثل بعضه بعضا في الحسن والجودة .

ومن التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (البقرة : ٢٥) .

وإن الرزق الذي يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم من الولدان ، إذا رأيتهم حسبتهم لفرط جمالهم لؤلؤا منثورا ، وهؤلاء الولدان يحملون صحافا وآواني من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ولباسهم فيها حرير من سندس وإستبرق وحليتهم الذهب ، ومساكنهم طيبة ، وهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وأصحاب الجنة هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك يتكئون ، وهؤلاء الزوجات ينشئهن الله إنشاء عربا أترابا كما ينشئ معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون وهن مطهرات من عيوب نساء الدنيا فلا دمامة خلق ولا سوء خلق بل ولا حيض ولا نفاس ، وأهل الجنة أزال الله من صدورهم الغل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين .

والجنة لا يسمع فيها اللغو ، ولا التأثيم وإنما يسمع فيها تقديس الله وإجلاله وسلام الله على المؤمنين وسلام بعضهم على بعض .

ومن التوجيه: ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾(الرعد : ٢٤) ، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة – العود – أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعا في السماء ، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : " ألا مشمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام أبدا في حبرة – النعمة وسعة العيش – ونضرة ، في دار عالية سليمة بهية "

قالوا : نحن المشمرون لما يا رسول الله ؛ قال : قولوا : إن شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه " رواه ابن ماجه .

نعيم الجنة فوق ما يتصور العقل : وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم الأرضي وإن كان أرقى منه نوعا وشكلا وطعما ، وحقيقة فوق ما يتصوره البشر .

التوجيه القرآني والنبوي : قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله سبحانه : ﴿ وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (البقرة : ٢٥) ، لا يشبه شيء مما في الجنة في الدنيا إلا في الأسماء . . وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ اقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ " (السجدة : ١٧) .

أعلى نعيم الجنة : وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل ومناجاته والفوز برضاه .

من التوجيه في ذلك : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (القيامة : ٢٢-٢٣) ، ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ، سلام قولا من رب رحيم ﴾ (يس : ٥٥-٥٨) ، ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ (التوبة : ٧٢) ، ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ (آل عمران: ١٥) .

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب - أي عن أهل الجنة - فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم . ثم تلا ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾،والحسنى الجنة، والزيادة هي الرؤية، والحديث رواه مسلم وغيره[٢٣٠] .

الخلود : والجنة خالدة لا تفنى ، وكذلك النار ، أهل كل منهما مخلدون ، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم الفناء ،ومن التوجيه القرآني في ذلك : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ ﴾ . . (هود : ١٠٦ - ١٠٨) .

وهذا الخلود له ما يبرره ، فالأعمال بالنيات : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " . . والمؤمنون والكافرون كان كل من الفريقين مصرا على ما هو عليه ، فأهل الجنة كانوا مريدين الإيمان والطاعة مهما طالت بهم الحياة وامتد بهم العمر ، وأهل النار كانوا مصرين على الكفر ، والعصيان ولو عاشوا طويلا . فكان الجزاء للفريقين على الإرادة والنية ، والقرآن يوضح هذا بالنسبة لأهل النار فيقول : ﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ (الأنعام : ٢٧-٢٨) .

---

[٢٣٠] المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

٣٠ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يتعرف التلاميذ على الجنة وأوصافها ، وضرورة أن يتضمن المحتوى من النصوص القرآنية ما يعرف منه التلاميذ أوصاف الجنة ونعيمها والأعمال التي تكون سببا في دخولها ، لعل الله يوفقهم إليها .

معايير الفصل الخامس :

معايير تدور حول طبيعة الحياة الدنيا في التصور الإسلامي ، ومعايير تدور حول النصوص المتعلقة بالحياة الآخرة :

١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة الحياة في التصور الإسلامي ، وأنها دنيا وآخرة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها مكونات المجتمع الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها طبيعة النظم الاجتماعية الإسلامية التي تحكم المجتمع المسلم على وجه العموم ، وتميزها عن غيرها ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٤ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها موقف الإسلام من التعليم والتعلم في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٥ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أثر العدل في الحياة الاجتماعية ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام السياسي في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٧ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة نظام الأسرة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها موجهات القرآن الكريم للنظام الاجتماعي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٩ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أثر الشورى في الإسلام بين الحكام والمحكومين ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٠ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها مظاهر الحرية في الإسلام ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أثر الوحدة بين المسلمين في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

obeikandl.com

١٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها كيفية التصرف في أموالهم في ضوء الاقتصاد الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الاقتصادي في التصور الإسلامي ، وموجهات القرآن الكريم له ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٤ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن النشاط الإنساني كله عبادة ما دام يصدر من الإنسان على هدي الشريعة الإسلامية ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرانية الموضحة لذلك .

١٥ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن للجهاد أنواعا متعددة في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن الثبات على طاعة الله ورسوله يديم نعمه عليهم ، وأن عدم طاعة الله ورسوله سبب يؤدي إلى زوال نعمه . وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٧ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الثقافي في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة النظام الحضاري في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

١٩ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها التربية بمعناها الشامل ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢٠ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن العلم بالله الواحد الأحد فطرة الله في الإنسان ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن الغاية من المعرفة هي تطبيق منهج الله ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن الإسلام يدعو أبناءه إلى البراعة في الفنون والآداب في ضوء التصور الإسلامي للحياة ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها ما يجوز أن يتحقق به الاعلام والإعلان في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى النصوص القرآنية الموضحة لذلك .

٢٤ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن الموت أول درجات الآخرة ، حتى يستعدوا له بصالح العمل ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى النجاة من عذاب القبر وفتنته .

٢٥ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بالبعث ، والأدلة الموجبة لهذا الإيمان ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك .

٢٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بالحشر ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك ، ويدعو إلى النجاة من أهواله .

٢٧ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن عدل الله اقتضى محاسبة الناس على أعمالهم يوم القيامة ليجازى كل بما عمل ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يرشدهم إلى ذلك ويدعوهم إلى النجاة من أهواله .

٢٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها وجوب الإيمان بوجود الصراط يوم القيامة ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح لهم ذلك ويحثهم على العمل بما يجعلهم يعبرونه بسلام إلى الجنة .

٢٩ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن الله أعد نارا أعظم من نار الدنيا بكثير ليعذب بها الكافرين والعصاة الذين لم يغفر الله لهم ذنوبهم ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح ذلك لهم حتى يحول بينهم وبين المعصية .

٣٠ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها الجنة وأوصافها ، وأن يقدم لهم المحتوى من النصوص القرآنية ما يوضح لهم أوصاف الجنة ونعيمها والأعمال التي تكون سببا – بعد رحمة الله وفضله – في دخولها ، لعل الله يوفقهم إليها .

خـــاتمـة :

تحدث الباحث في هذا الفصل عن طبيعة المجتمع المسلم وحاجته ومطالبه ، وكان أول ما بدأ بالحديث عنه : الحياة في التصور الإسلامي وبين أنها دنيا وآخرة ، وأوضح أن الحياة الدنيا تشمل : الحياة الاجتماعية ، والحياة الثقافية والمعرفية .

وأن الحياة الاجتماعية تشمل الحديث عن : مكونات المجتمع ، وطبيعة المجتمع الإسلامي ، ومعايير حكم الحياة في المجتمع الإسلامي ، وهذه المعايير هي :

العلـــم – العـــدل – الحـــرية – الشـــورى – الوحدة – الإحسان في العمـــل – الجهـــاد في سبيـــل الله وأنواعه .

وعني الباحث بالتوجيه القرآني لكل هذه المعايير بالقدر المناسب . سواء منها :

النظام السياسي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي ، ثم القرآن والتغير الاجتماعي ، وتحدث عن

الحياة الثقافية والمعرفية بالقدر المناسب متناولا في ذلك المفردات الآتية :

الثقافة والحضارة ، ثم التربية والتعليم ، والعلم والمعرفة ، والفنون والآداب ، والاعلام والإعلان ، ثم طبيعة المجتمع المصري.

كما تحدث أخيرا عن الحياة الآخرة بالمفردات الآتية :

الموت – البعث – الحشر – الحساب – الصراط – النار وأهلها _ ثم الجنة ونعيمها .

واتبع الباحث المنهج السابق – : الحديث عن المفردة بما يتناسب مع وجودها – في الفصل موضوع الحديث – ثم التوجيه القرآني في ذلك ثم اشتقاقه المعيار المناسب ، وتذييل الحديث عن المفردة به . وأخيرا جمعت كل المعايير الخاصة بهذا الفصل ، ما لم يكن منها ما هو مفهوم من مفردة سابقة أو مدمج مع غيره في موطن لاحق أعم وأشمل . فيستغنى عنه اكتفاء بما يدل عليه .

obeikandl.com